السنة ٧٩ العدد الحادي عشر والثاني عشر نوفمبر وديسمبر ٢٠٢٥م هاتور وكيهك ١٧٤٢

مجلة

مدارس الأحد

محتوى العدد

الافتتاحية: لا تحكموا قبل الوقت		١
اعبدوا الرَّب بضميرٍ صالحٍ وإرادةٍ صالحة	أ. نادية منير	٥
النعمةُ والإرادةُ الحُرَّةُ بَينَ القديس يوحَنّا كاسيان والقديس أوغسطينوس جـ٢	د. أمجد شوقي	٩
خطوات في طريق النجاح والإبداع (١٩): المُتحَفُ المصريُّ الكبير	د. جرجس بشرى	١٤
رفع البخور في الكنيسة معناه الإيماني وتاريخه الليتورجي٢	الراهب القس أثناسيوس المقاري	١٦
التمييزُ بين اللاهوتِ الإيجابي واللاهوتِ السلبي	م. إيهاب عازر	٢٠
تاريخ الكنيسة ما قبل مجمع نيقية ٣٢٥م (٦)	د. سينوت دلوار شنودة	٢٣
الإفخارستيا في فِكرِ القديس إيريناؤس - أسقف ليون	الشماس الإكليريكي جون ممدوح	٢٦
تأثيرُ إيمانِنا بالتجسُّد في حياتنا	الشماس الإكليريكي بيشوي فخري	٢٨
نِعمَةُ التَّبَنّي عندَ الآباءِ الأقباط	الشماس الإكليريكي مينا ملاك	٣٢
المدارس التفسيرية المسيحية القديمة.. مقارنة منهجية وتداعيات لاهوتية (٢)	الشماس الإكليريكي ميشيل عزت	٣٦
هل كان لله عِلَّةِ العِلَلِ عِلَّةٌ خارجًا عنه في حركة الحَبَلِ به؟	الأستاذ إسحاق الباجوشي	٣٨
اللغة اليونانية (٨-١): الفعل في زمن المضارع المعلوم	د. جرجس بشرى	٤٤
كنيسةُ رئيسِ الملائكةِ غبريال بحارةِ السقايين	التعليق على صورة الغلاف	ب. غ

مجلة مدارس الأحد

يصدرها: بيت مدارس الأحد القبطى

إدارة المجلة :٧٠ شارع روض الفرج – القاهرة تليفون : ٢٢٠٢٩٧٤٤

الاشتراك السنوى مائتان وخمسون جنيها

رئيس التحرير : د. سينوت دلوار شنودة

نائب رئيس التحرير: أ. نادية منير

أسرة التحرير: د. جميل نجيب، د. أمجد شوقي د. جرجس بشرى
أ. إسحاق الباجوشي

مدير المجلة: أ. صبرى غالى حنا – **مراجع لغوي:** أ. خلف عبد الملاك بشرى

ترسل جميع المكاتبات بعنوان المجلة، **الاشتراكات**

تسدد **بالحساب الفضي** رقم ١٣٦٧٥٢ على مكتب بريد حدائق شبرا
باسم الأستاذ صبري غالي حنا

★ **عند إرسال أية مبالغ بالحساب الفضي برجاء الاتصال بنا حتى يتم تسديدها بالحسابات**

البريد الالكترونى: E-MAIL: sundaymag@hotmail.com

مجلة مدارس الأحد

السنة	نوفمبر وديسمبر ٢٠٢٥م	العدد
التاسعة والسبعون	هاتور وكيهك ١٧٤٢ ش	الحادي عشر والثاني عشر

لا تحكموا قبلَ الوقت

«إِذًا لاَ تَحْكُمُوا فِي شَيْءٍ قَبْلَ الْوَقْتِ، حَتَّى يَأْتِيَ الرَّبُّ الَّذِي سَيُنِيرُ خَفَايَا الظَّلاَمِ وَيُظْهِرُ آرَاءَ الْقُلُوبِ. وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْمَدْحُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ اللهِ» (كورنثوس الأولى٤: ٥).

الإدانة مِن أكثرِ الخطايا انتشارًا وخطرًا في الحياة الروحية، لأنها لا تَظهَر دائمًا في صورة خطية واضحة مثل السرقة أو الزنا، بل تأتي مُغَلَّفةً بثوبِ الغيرة، أو النصيحة، أو الحِرص على الحق، بينما في حقيقتها حكمٌ قاسٍ على الآخرين، وتجاوزٌ لسُلطان الله الديان العادل وحده. لذلك يوصينا الرسول قائلًا: «**لا تحكموا قبل الوقت**» (١كو٤: ٥)، فالله وحده يَعلَم الدوافعَ الخفية والخلفيات والنيات، وهو وحده القادر أنْ يَحكُمَ بعدلٍ كامل.

أولًا: ما هي الإدانة؟

الإدانة ليست مُجرَّد ملاحظةِ خطأ، بل هي إصدارُ حُكمٍ داخليٍ أو علنيٍ على شخص، بِنِيَّةِ الانتقاص منه، أو تشويه صورته، أو إظهار تفوقنا عليه.

تشمل الإدانة:

- الحكم على نوايا القلب دونَ معرفةِ اليقين.
- تلطيخُ السُّمعةِ بالكلام أو التلميح.

- الفرح بسقوط الآخرين.
- مُقارنة النفس بالآخرين بافتخار.

قال الرب يسوع: «**لا تدينوا لكي لا تُدانوا، لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون، وبالكَيلِ الذي به تكيلون يُكالُ لكم**» (متى٧: ١-٢).

ثانيًا: **أنواع الإدانة**:

١. **الإدانة بالكلام:** وهي الواضحة، مثل الانتقاد المباشر، أو السُخرية، أو تَتَبُّع العيوب والتشهير بالآخرين.

٢. **الإدانة في القلب:** بدون كلام مسموع، لكنها فكر داخلي واحتقار، أو تعالٍ على الآخرين، وهي خطية كاملة أمام الله.

٣. **الإدانة المُقارَنة:** حين يُقارِن الإنسانُ نفسه بالآخرين قائلًا: «أنا أفضل – أنا أصدَق – أنا أقدَس منهم».

٤. **الإدانة المُستترة في شكل نصيحة:** حيث يتحدَّث الشخص عن عيوب الآخر بحجة "الغيرة على الحق" أو "الخدمة"، دون محبة أو هدف للبُنيان.

٥. **الإدانة الجماعية:** حين تشترك مجموعةٌ في الحُكمِ على شخصٍ أو قائدٍ أو خادم، فتتحوَّل إلى روحِ تمرُّدٍ وانقسام.

ثالثًا: **خطورة خطية الإدانة**:

١. **تَسرِقُ النعمة:** لأنَّ اللهَ يُقاوِمُ المُستكبرين ويُعطي نعمةً للمتواضعين.

٢. **تُقسّي القلب:** وتَمنَع الإنسانَ مِن رؤيةِ ضَعفِهِ الشخصي.

٣. **تَهدِمُ العلاقات:** وتَزرَعُ الشكَّ والكراهية والانقسام في الكنيسة والبيت والمجتمع.

٤. **تَجعَلُ الإنسانَ تحتَ نَفسِ الحُكمِ الذي أصدره:** كما قال الرب: "**بالكَيلِ الذي به تكيلون يُكالُ لكم**" (مت٧: ٢).

٥. **تُحزِنُ الروحَ القُدُس:** لأنَّ الإدانةَ عَكسَ المحبة التي "**لاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**". (كورنثوس الأولى١٣: ٦، ٧).

رابعًا: عواقب الإدانة روحيًا وعمليًا:

- فُقدانُ السلامِ الداخلي.
- جفافُ الحياةِ الروحية.
- عَرقلةُ استجابةِ الصلاة.
- فُقدانُ الثقة بين الإخوة.
- انتشارُ روحِ الانقسام والشك في الكنيسة.
- تَشويهُ صورةِ المسيحية أمام الآخرين.

ولهذا قال يعقوب الرسول:

«لاَ يَذُمَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ. الَّذِي يَذُمُّ أَخَاهُ وَيَدِينُ أَخَاهُ يَذُمُّ النَّامُوسَ وَيَدِينُ النَّامُوسَ. وَإِنْ كُنْتَ تَدِينُ النَّامُوسَ، فَلَسْتَ عَامِلًا بِالنَّامُوسِ، بَلْ دَيَّانًا لَهُ» (يعقوب٤:١١).

خامسًا: خطورة إدانة وانتقاد القادة والمسئولين في الكنيسة:

الكتاب المقدس يُحذِّرُنا بشِدَّةٍ من التَعَدي على القادة الروحيين:

- قال الرب عن موسى: **«فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ»** (عدد١٢: ٣)، ورغم هذا عاقبَ الربُّ مريمَ وهرونَ عندما أدانا موسى.
- وقال داود: **«حَاشَا لِي مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ أَنْ أَمُدَّ يَدِي إِلَى مَسِيحِ الرَّبِّ!»** (صموئيل الأول٢٦: ١١) رغم ظُلمِ شاول له.

فالقادة الروحيون – رغم ضعفهم البشري – هم: مسئولون أمام الله، ومُعَيَّنون للصلاة والرعاية، ولهم سُلطان روحي من قِبَلِ الرب.

أمَّا انتقادُ القادة فهو يُحدِث انقسامًا بين الشعب، وتشكيكًا في الخدمة، وعثرةً للضُعفاء، وكَسرًا للهيبة الروحية، وتَمَرُّدًا غير مباشر على تدبير الله، وحتى إنْ كان هناك خطأ ما حَدَثَ من بعضهم، فالطريق الكتابي هو الصلاة من أجلهم، والتَحَدُّث عنهم بمحبة واحترام، أو رفعُ الأمر بالترتيب الكنسي الصحيح وليس بالتشهير أو النميمة.

قال معلمنا بولس الرسول: **«اُذْكُرُوا مُرْشِدِيكُمُ الَّذِينَ كَلَّمُوكُمْ بِكَلِمَةِ اللهِ. انْظُرُوا إِلَى نِهَايَةِ سِيرَتِهِمْ فَتَمَثَّلُوا بِإِيمَانِهِمْ»** (عبرانيين١٣: ٧).

سادسًا: كيف ننجو من خطية الإدانة؟

١. أنْ ننظرَ إلى أنفسنا أولًا: **"يَا مُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلًا الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ!"** (متى٥:٧).

٢. أنْ نتَّشِحَ بالرحمةَ والتوبةَ الحقيقية، فرُبَّما من نُدينه يُجاهد أكثرَ منَّا أمام الله.

٣. أنْ نُحَوِّلَ الإدانةَ إلى صلاةٍ بدلًا من أنْ نتكلَّم عليه، نصلي لأجله.

٤. أنْ نذكُرَ خطايانا فتُكسَرُ كبرياءُ القلب.

٥. أنْ نضعَ أمامنا يومَ الدينونة ونسأل أنفسنا: هل نقبل أنْ يُحكَمَ علينا بنفسِ الطريقة؟

٦. أنْ نتمسَّكَ بالمحبة لأنَّ المحبة **"لاَ تُقَبِّحُ، وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلاَ تَحْتَدُّ، وَلاَ تَظُنُّ السُّوءَ"** (كورنثوس الأولى١٣: ٥).

إنَّ طَلَبَ الإنجيل واضحٌ وصريحٌ: «لا تحكموا قبل الوقت» (١كو٤: ٥)، فلنَترُك الدينونةَ للرب، فهو الديان العادل، الرحيم، العارف بخفايا القلوب، ولنقتنِع أنَّ الإدانةَ لا تَرفَعنا بل تُسقطنا، لا تُبرِّرنا بل تُديننا، لا تبني الكنيسة بل تهدمها، أما المحبة، فهي الطريق الحقيقي للخلاص والنمو والسلام.

الرب معكم،،

✝✝✝✝✝✝✝✝✝✝✝✝

النسك ليس معناه التقشف وحسب وإنما يقصد به بالدرجة الأولى الاستعداد للاقتراب بالروح إلى الله، وذلك بأعمال إما جسدية أو ذهنية أو قلبية.

فإنسان يسهر منكبًا على قراءة الإنجيل يُحسب نسكًا.

وإنسان يتأمل أعمال الله وإحساناته فهذا أيضًا يُحسب ناسكًا.

وإنسان يترنم في قلبه للرب كما يقول الكتاب: مترنمين في قلوبكم للرب بالفرح والتهليل، هذا أيضًا ناسك. وهكذا فالقراءة والتأمل والترنيم القلبي بالروح أعمال نسكية لا تقل في أثرها على الروح عن الصوم والزهد والتقشف.

فالنسك إذن في مفهومه وجوهره هو عشرة واقتراب إلى الله للحياة معه بالروح.

(الأب متى المسكين)

اعبدوا الربَّ بضميرٍ صالحٍ وإرادةٍ صالحة

الأستاذة/ نادية مُنير

جَرَتِ العادةُ - ونحن نقتربُ مِن نهايةِ العام - أنْ تُحاوِلَ المؤسسات والهيئات مراجعةَ وتقييمَ طُرُقِ عَمَلِها وإنجازاتها كمُحاولةٍ لتطويرها وتقدُّمها، ونحن بالحريِّ كأفرادٍ مؤمنين على مستوى حياتنا الشخصية ما أحوجنا في كل وقت في حياتنا إلى القيام بهذا التقييم والتقويم والتطوير؛ لأنه متى تمَّ ذلك على المستوى الفردي، انتقل بِدَورِه إلى المستوى الجماعي كمؤسساتٍ وهيئات، وبالتالي نجني ثماره على مستوى الأوطان والأمم.

قد يُنكر البعض هذا الأمر ومدى فاعليته، مُعتقدِين أنَّ الأمورَ ليست بهذه البساطة، وأنَّ هناك مِن المُتغيرات الأخرى الاقتصادية والسياسية ما يجعلُ الأمرَ أكثرَ تعقيدًا وصعوبةً مِمّا نتصوَّر، ولكننا نتحدَّث ونبحث عمّا في أيدينا وفي استطاعتنا أنْ نقومَ به، ألَا وهو السعيُ وراءَ الضميرِ الصالح لكل إنسانٍ منّا، حتى ينتقلَ هذا الصلاحُ ويعُمَّ في المجتمع كله، حيث أصبحَ واضحًا تضاؤلُ - وإنْ لم يكن نُدرة - وجودِ الضمير الصالح على المستوى الفردي والقومي والدولي أيضًا.

ولنبدأ مِن تعريف الضمير وأنواعه، ثم ما هو الضمير الصالح؟ وهل الضمير الصالح وحده يكفي لحياةٍ أفضل؟ وما علاقة الضمير بالإرادة؟ وأيهما يقودُ الآخر؟ وكيف أقتني الضميرَ الصالحَ والإرادةَ الفاعلةَ معًا؟

الضمير في عُرفِ اللاهوتيين: هو حكمُ العقلِ عمليًا، به يحكم الإنسانُ بموجِب ما يوحيه عقله في الأمور التي يُفكِّر بها، أهي حسنةٌ ليقومَ بها أم رديئةٌ يجبُ تجنُّبها؟ بمعنى أنَّ الضميرَ حكمٌ واعٍ يَصدُرُ عن العقلِ لتحديدِ ما هو جيِّدٌ وما هو سيِّئٌ في فعلٍ مُعيَّن. وبصيغة أخرى، يرى القديس توما الأكويني أنَّ الضميرَ هو تطبيقُ ما نعرفه على فعلٍ مُعَيَّن.

أنواع الضمير:

نظرًا لارتباطِ الضميرِ بالعقلِ وما يعتقده، لذلك اختلفتِ الضمائر:

- **هناك الضميرُ الواسع أو الضمير غير المستقيم:** وهو الذي يَحكُم بجواز ما لا يجوز، ويَحسِب الخطيةَ شيئًا عارضًا، مثل الذي يُبيحُ الكذب في حالاتٍ مُعيَّنَة أو يُبيحُه لمصلحةٍ شخصية، ويستندُ إلى أعذارٍ واهيةٍ ومُبرِّراتٍ وبراهينَ ضعيفة. وهذا الضميرُ لا يَصلُح أنْ يكونَ مثالاً يُحتذَى به؛ لأنه يَسحَبُ النفوس في الطريق الواسع المؤدّي للهلاك، حيثُ يَسحَبُ النفسَ إلى عَمَى القلب وقساوته والتعلُّق بأمورِ الدنيا وتكرار ارتكاب الخطية.

- **وهناك الضميرُ المُرتاب:** الذي يَشُكُّ في صلاحِ الشيء أو شَرِّه، وهو مرتبطٌ بالشَكِّ كَسِمَةٍ للشخصية. وهذا الضمير لا يُعتَمَد عليه، بل لا بُدَّ من رجوعه إلى مُرشدٍ حكيمٍ يُساعده في التخلُّص من الشك.

- **وهناك الضمير المُوَسوَس أو الحسّاس:** والذي يَتَّسِمُ بالخوف الشديد من إهانة الله، ويرى الشَرَّ والخطيةَ في أشياءَ وأفعالٍ لا تَحمِل خطيةً **"ولكنْ ليسَ العِلمُ في الجميع بل أناسٌ بالضمير نحو الوثَنَ إلى الآن يأكلون كأنَّه ممّا ذُبِحَ لوَثَن، فضميرهم إذ هو ضعيفٌ يتنجَّس"** (١كو٨: ٧). ولذلك يعيش مضطربًا متضايقًا غيرَ مستمتعٍ بالعِشرةِ مع الله؛ لأنَّ خيالَه مشوَّش ويضُرُّ به ويَحرمُه من روحِ اللُطفِ والرجاءِ والمحبة. وهذا الضمير يحتاج إلى مُتابَعةٍ من المُرشد أو أب الاعتراف بطولِ بالٍ وأناةٍ ومحبة، لينتقلَ إليه السلامُ بنورِ المحبة الأبوية والمعرفة الحقيقية غير المشوَّهة للمسيح يسوع، حتى يستنيرَ وَعيُه وتَصِحُّ معرفتُه ومعتقداته.

- **الضمير الصالح:** وهو ما نسعى جميعًا إليه، هو ضميرٌ مستقيم يرى الأمور كما هي عليه.

هو ضمير مُتَيَقِّنٌ بحُكمِهِ على الأمر إنْ كان صالحًا أم شريرًا.

هو صوت الله في الإنسان، ولا ينشأ عنه صراعٌ أو تناقضٌ بين إرادة الله وحريته من جهة، وبين حرية الإنسان وإرادته تجاه فعلٍ مُعيَّن من جهة أخرى.

هو ضميرٌ طاهرٌ بالإيمان الذي يكشف سر الله لخائفيه.

هو ضمير تيموثاوس الذي شَهِدَ له بولس الرسول أنَّ له ضميرًا صالحًا وطاهرًا، وبغيره تنكسر السفينة (١تي١: ١٩ و ١تي٣: ٩).

هل الضميرُ الصالح وحدُه يكفي لحياةٍ أفضل؟

هل يعني ما سَبَقَ من تعريفٍ للضميرِ الصالح أنَّ صاحبَه لن يُخطئَ ولن يضعُفَ أحيانًا؟ هل تكون

الحياةُ سلسلةً من الانتصارات على المُحارَبات الروحية؟ هل نتحوَّل بالضمير الصالح إلى مجتمعٍ من الملائكة؟

يوضِّح لنا بولسُ الرسول في رسالته إلى العبرانيين وجودَ علاقةٍ قويةٍ بين الإرادةِ والضمير حين يقول: **"لأنَّنا نثقُ أنَّ لنا ضميرًا صالحًا، راغبين أنْ نسلُكَ حسنًا في كل شيء"** (عب١٣: ١٨). فبالرغم من ثقته في أنَّ لهم ضميرًا صالحًا، إلّا أنَّه يُريدُ ويرغَب في السلوك الحَسِن في كل شيء.

إذن هناك علاقةٌ إمّا أنْ تكونَ تكامُليَّةً أو صراعًا بين الإرادة وبين الضميرِ الإنساني. الضميرُ الصالح يقول ويُوَجِّه كالبوصلة الأخلاقية (قوة باطنية موجِّهَة) للإرادة التي هي قوَّةٌ فاعِلَةٌ تنفيذيَّةٌ تُحَوِّل التوجيهَ إلى عملٍ وسلوك. لذلك إذا كانت الإرادةُ مُتَّجِهَةً نحوَ إرضاءِ الله، فإنها تتوافَق وتتكامَل مع الضمير الصالح. أمَّا إذا ابتعدَت الإرادةُ عن محبةِ الله، فيُمكنها أنْ تتغلَّب على الضمير الصالح وتُسْكِتُه أحيانًا، رغمَ معرفةِ الإنسان بما هو خيرٌ وما هو شَرّ. لكنَّ حريَّة إرادةِ الإنسان تجعلُه مُخَيَّرًا لا مُسَيَّرًا، وله أنْ يختارَ بين الشر أو الخير.

وقد تكون العلاقة بين الضمير الصالح وبين الإرادة أشبَهَ بالعلاقةِ بين الروحِ والجسد حين يشتهي الجسدُ ضدَّ الروح، فيفعل الإنسانُ ما هو ضدَّ الضمير الصالح، أمثال الزنا والنجاسة والسحر والخصام والغيرة والتحزب والحسد (غل٥: ١٧-٢١).

فإذا كان الضميرُ هو حكمًا واعيًا يَصدُرُ عن العقل، وإذا كان للإرادة سلطةٌ على العقلِ والعاطفةِ والذاكرة، فإنه يُمكن القول إنَّ الإرادةَ لها سُلطةٌ تنفيذيةٌ على الضميرِ أيضًا. لذلك أصبحَ من الضروري على المسيحي صاحبِ الضميرِ الصالح أنْ يُهذِّبَ إرادته ويتعرَّفَ على الأسباب التي يُمكن أنْ تُضعِفَ الإرادةَ وكيف يُمكن توجيهها إلى إرضاءِ الله ومخافته ومحبته، بحيث تدعَم الإرادة بدَورِها الضميرَ الصالح.

ما هي أسبابُ ضَعفِ الإرادة؟

قديمًا كانوا يُطلقون أو يقصدون بالعقل: القلب، لذلك يقول المزمور: **"لتكن أقوالُ فمي وفكرُ قلبي مُرضيَةً أمامك في كل حين"** (مز١٩:١٥). وعلى ذلك، عندما يقول يشوع بن سيراخ: **"لا تُسَلِّم قلبَكَ إلى الحُزنِ ولا تُعَذِّب نفسكَ بالتأمُّل"** (سي٣٠:٢١)، فإنه يُشيرُ إلى حُزنِ العقلِ وكثرةِ تفكيره في الهُموم أو الألَم. وهكذا يُشيرُ إليهما كأسبابٍ رئيسيةٍ في ضَعفِ الإرادة. **"القلب الفرحان يُطَيِّب**

الجسم... الحكمة عند الفهيم" (أم١٧: ٢٢،٢٤). وما هو العقلُ الفهيم إلّا الذي يَضَعُ ثقتَهُ في محبةِ الله ولا يستسلم للحزنِ ولا يعتقد في القَدَريَّة، بل يرى أنَّ الحكمةَ هي التي تقودُ إلى الإرادةِ الفاعلةِ والمتفقةِ والمتفاعلةِ مع الضميرِ الصالح.

الأنانية أيضًا تُضعِفُ الإرادةَ عن فعلِ الخير لغيرها، وتَصرِف الإنسانَ عن الهدفِ الحقيقي من وجوده. والأوهام والمخاوف تُثيرُ القلقَ وتَحرِم الإنسانَ من التمتُّعِ بالحاضرِ ورؤيةِ صلاحِ الله وأعماله في الحياة.

الخُلاصة:

إذا كان ضميرُ الإنسانِ صالحًا، استمَعَ إلى صوتِ اللهِ جيدًا بداخله، الذي بدَورِهِ يُوجِّهُ إرادةَ الإنسانِ نحوَ فعلِ الصلاحِ والخير، وبالتالي لن يكونَ هناك صراع، خاصةً إذا توافَقَت إرادةُ الإنسان الصالحة والقوية مع ضميره الصالح، فتُصبح الإرادةُ البشرية قوةً تنفيذيةً فاعلةً ومؤثرةً ومستجيبةً وخاضعةً لإرادةِ الله. **"لأنَّ فخرَنا هو هذا: شهادةُ ضميرِنا أنَّنا في بساطةِ وإخلاصِ لله، لا في حكمةٍ جسدية، بل في نعمةِ الله، تصرَّفنا وسَلَكنا في العالم ولا سيَّما مِن نحوكم"** (٢كو١: ١٢).

أمّا إذا ضَعُفَت إرادةُ الإنسان رغمَ صلاحِ ضميره، نتيجةَ الحُزنِ أو الألَم أو الهَمّ أو الأنانية، كان ذلك سببًا في حدوث الصراعِ بين الإرادة البشرية وبين الضمير الصالح، ممّا قد يجعل الإرادةَ البشريةَ لا تستجيب لسماع أو توجيه الضمير الصالح، وربَّما تُحاولُ إسكاتَ صوتِ الله من خلالِ إخمادِ صوتِ الضميرِ الصالح. وبالتالي يفعلُ الإنسانُ ما لا يُريدُه وما لا يَرضَى عنه ضميريًا.

وليس لدينا سلاحٌ سِوَى الجهادَ بصلاةٍ وإيمانٍ وعبادةٍ حقيقية، لكي يكونَ لنا الضميرُ الصالح والطاهر الذي به نحكُم على أنفسنا، وتكون لنا الإرادة القوية بالنعمة، فتستقيم حياتُنا إيمانًا وفعلًا بالصِّدقِ والأمانةِ والطهارة والصلاح، لأنَّ إلهَنا صالحٌ وإلى الأبدِ رحمته **"وبعملِكَ هذا علَّمتَ شعبكَ أنَّ مَن كانَ صالحًا فلا بُدَّ أنْ يكونَ رحومًا "** (الحكمة١٢: ١٩).

- فهل أدركنا ونحن نُردِّدُ: **"احمَدوا الربَّ لأنه صالح، وإنَّ إلى الأبدِ رحمته"** (مز١١٨: ١)، مدى قوةِ العلاقةِ بين الصلاحِ والرحمة؟ لأنه لو أدركنا مدى الارتباط بينهما لتَغَيَّر مجتمعُنا وتغيَّرت بيوتُنا وحياتُنا، رغم كل الظروف الاقتصادية ورغم زيادةِ الغلاءِ وصعوبةِ المعيشةِ وكثرةِ الهمومِ والأمراض؛ لأنَّ صوتَ اللهِ سوف يُصبحُ واضحًا وحيًا فينا، لأننا نعيشُ بضميرٍ صالحٍ وإرادةٍ صالحة.

النعمةُ والإرادةُ الحُرَّةُ بَينَ القديس يوحَنّا كاسيان والقديس أوغسطينوس جـ ٢

دكتور/ أمجد شوقي

القديس يوحنّا كاسيان[١]

وُلِدَ القديس كاسيان عام ٣٦٠ في الولاية الرومانية سِكّيثيا (رومانيا حاليًا) وتنيَّحَ عام ٤٣٥ في بلاد الغال (حاليًا فرنسا). أجادَ كاسيان اللاتينية واليونانية، مما أهَّله لينقُلَ الفِكرَ الرهباني الشرقي إلى بلاد الغال ومنها إلى الكنيسة الغربية.

ارتحلَ إلى بيتِ لحم مع رفيقه جِرمانوس، وعاشا معًا في أحَدِ الأديرة ليتعلما أصولَ الحياة الرهبانية. التَقَى كاسيان وجِرمانوس مع أحَدِ الآباء الرهبان المصريين الذي كان في زيارةٍ لبيتِ لحم، فأُعجَبا بعُمقِه وتواضعِه، فقررا أنْ يزورا مصرَ ليتعلَّما من آباءِ الرهبنة هناك. زار الرفيقان التجمُّعاتِ الرهبانيةِ في الدلتا، ثم استقرا في نَتريا. قضى الرفيقان معًا حوالي عشر سنوات في مصر.

كان كاسيان في نَتريا حين انقلبَ البابا ثاؤفيلس على الرهبان المُعجَبين بأوريجانوس بعدَ أنْ كان مؤيدًا لهم في البداية مِمّا أجبرَ عددًا من هؤلاء الرهبان إلى الانتقال إلى القسطنطينية، واضطرَ كاسيان وجِرمانوس إلى الانتقال معهم. أصبحَ كاسيان من المُقرَّبين إلى القديس ذهبي الفم الذي رسمه شماسًا. انتقل كاسيان بعد ذلك إلى روما حاملًا رسالةً من ذهبي الفم إلى بابا روما، ثم عادَ إلى بلادِ الغال حيث أسَّسَ دَيرَين.

كتبَ كاسيان كتابَين عن الحياة النُسْكِيّة في مصر بناءً على طلبِ كاستور أسقف الغال هما "**المؤسَّسات الرهبانية**" و"**المحاورات**".

بينما سجَّلَ القديس أوغسطينوس تفاصيل تاريخه الشخصي في كتاباته، تجنَّبَ كاسيان الحديث عن حياته الشخصية ونتجَ عن ذلك صعوبة كتابة تاريخٍ شخصيٍ دقيقٍ له.

سجَّل كاسيان في "**المحاورات**" أحاديثه مع آباء الرهبنة المصريين في صورة سؤال وجواب. تُظهِرُ

---

(1) Columba Stewart: Cassian the Monk: P3 – 26 &76 – 81.

الأب د. بولا ساويروس: القديس يوحنا كاسيان: الأنظمة: م١٥ – ٣٤.

حواراتُهُ أنَّ هدفَه لم يكن الجدلَ أو الفضول، وأنه لم يقصد أنْ يقدِّمَ تاريخًا للرهبنة المصرية ولا تسجيلًا لسيرة آبائها ولا وصفًا لتجمعاتها المختلفة، لكن كان هدفه أنْ يفهمَ ويتذوَّق أعماق الحياة الروحية للرهبان، وأنْ يُقدِّمَ وصفًا دقيقًا للروحانية في الشرق كخبرة حياة يمكن للرهبان في الغرب أنْ يتَّبِعوها ويذوقوها، فكان لكتاباته أثرٌ بالغٌ على الرهبنة في الغرب.

انتشرت كتابات كاسيان بين الجماعات الرهبانية في فرنسا، وفي نفس الوقت وَجَدَت كتاباتُ القديس أوغسطينوس ضد بيلاجيوس طريقها إلى تلك الجماعات خصوصًا بعد مجمع قرطاج (٤١٨ م). وَجَدَ الرهبانُ تعارضًا بين تعاليم كاسيان عن النعمة من جهة، ومن جهة أخرى آراء أوغسطينوس عن سَبْق اختيار الله للقديسين، وعن النعمة غير المغلوبة، وعن نَفيِهِ لإمكانية مُبادرة الإنسان بفعلِ الصلاح من تلقاء نفسه. كما وجدوا عدم توافق بين بعض آراء القديس أوغسطينوس وبين مبادئ النُسْك الرهباني مثل الطاعة وإماتة الذات والخضوع الإرادي للوصية الإلهية.

تناول القديس كاسيان موضوع النعمة والإرادة الحُرَّة في مواضِعَ عديدةٍ في محاوراته وخصَّصَ لها مُحاورةً كاملة مع الأب تشيرمون هي المحاورة ١٣. هذه المحاورة هي أكثر المحاورات إثارةً للجَدَل والفحص والدراسة في وقته من قِبَل معاصريه وفي وقتنا من قِبَل الباحثين المعاصرين. يرى بعضُ الباحثين أنَّ كاسيان كتبها ردًّا على بعض آراء القديس أوغسطينوس . بينما يرى البعضُ الآخَرُ أنَّ كاسيان سجَّلَ ما سمعه من الأب تشيرمون بدون أنْ يقصد أوغسطينوس بالذات، ويدللون على ذلك بأنَّ مضمون المحاورة يتفق مع بقية المحاورات السابقة لها. بينما يرى البعضُ الآخرُ أنَّ المحاورة جاءَت ردًّا على تطرُّف بيلاجيوس في تعظيم دَورِ الإرادة الإنسانية وفي نفس الوقت ردًّا على تشدُّدِ أوغسطينوس في تعظيمِ دَورِ النعمة وتهميش دَورِ الإرادة.

المحاورة ١٢ كانت أيضًا مع الأب تشيرمون وتناوَلَت موضوعَ العفة وفيها أكَّدَ تشيرمون على ضرورة الاعتماد الكامل على النعمة التي بدونها تُصبحُ التوبةُ والنمو الروحي وأعمال النُسْك مستحيلة. لا يتجاهَل تشيرمون في نفس الوقت أهميةَ الجهاد في ثباتِ الإنسان في النعمة. فالله يَهَبُ نعمته للذين يطلبونها ويجاهدون في طاعة الوصية. النعمة تُحرِّكُ الإرادة، وباستجابة الإرادة يثبُت الإنسانُ في النعمة.

الأساس الذي يعتمد عليه الأب تشيرمون هو الفَهمُ الشرقي لنعمة الخَلْق، على عكس القديس أوغسطينوس الذي يُركِّز على السقوط وعلى وراثة الخطية. يرى الأب تشيرمون أنَّ الفساد الذي نتجَ عن السقوط لم يجعل الإنسانَ عاجزًا تمامًا عن فعلِ الخَير، لكنه أنتجَ تَوَتُّرًا بين الجسد والروح، حيث يشعر الإنسان بالضعف أمام البيئة والغرائز التي تنحاز نحو الشر ونحو المجتمع والعادات. بينما يرى

القديس أوغسطينوس أنَّ الطبيعة الإنسانية الساقطة ورثت الخطية، وبالتالي أصبحت عاجزة تمامًا عن عملِ الخير.

المبدأ الثاني الذي اختلف فيه الأب تشيرمون مع القديس أوغسطينوس هو رؤيته لتكوين الإنسان. يرى القديس أوغسطينوس أنَّ أصلَ النفس مثل الجسد هو الأبوين، وأنَّ الخطية تنتقل بالنسل من الأبوين إلى كل مولود، بينما تبنَّى تشيرمون رأي الشرق القائل إنَّ النفسَ تُخْلَقُ من قِبَل الله وتتَّحِدُ لحظةَ الخَلْق بالجسد.

لم ينشغل الأب تشيرمون، على عكس القديس أوغسطينوس، بتقديم لاهوت منهجي عن النعمة، لكنه قدَّم إرشادات عملية يمكن للسامع أنْ يفهمها بسهولة وأنْ يختبرها ويتذوقها.

شكوى ضد القديس كاسيان:

كان للقديس أوغسطينوس تلميذان يعيشان في جنوب مارسيليا، هما :بروسبر وهيلاري. اشتكى التلميذان لمعلِّمهما من أنَّ هناك بعضَ الجماعاتِ الرهبانيةِ في الغال لم تقبل بعض تعاليمه الخاصة بسَبْق اختيار الله للقديسين وعن النعمة الإلهية التي لا تُقاوَم لأنها تتعارض مع تقاليدهم النُسْكِيَّة. كان الدَّيرُ الذي يرأسه يوحنا كاسيان من بين تلك الجماعات.

ردَّ القديس أوغسطينوس على تلك الاعتراضات بِكتابين هما: "**عطية الثبات**" و "**سَبْق اختيار القديسين**"، لكنه لم يذكر يوحنا كاسيان بالاسم في كتابَيه.

شرح بروسبر في خطابه إلى أوغسطينوس وجهة نظره حول تعاليم كاسيان قائلًا:

[إنَّ كثيرين من خُدَّام المسيح في مدينة مارسيليا، بعد أنْ قرأوا كتابات قداستكم ضد الهراطقة البيلاجيين، يظنون أنَّ رأيكم حول دعوة المختارين بحسب قصد الله هو مُخالف لرأي الآباء وتقليد الكنيسة.

هذا ما يُعلِّمونه:

- إنَّ الجميع قد أخطأوا بسبب خطيئة آدم، ولا يمكن لأحدٍ أنْ يخلُصَ بجهوده الخاصة بل بنعمة الله.
- لذلك فإنَّ كفَّارةَ دمِ المسيح قد قُدِّمَت عن جميع الناس بلا استثناء، وبالتالي فكل مَن يرغَب في قبول الإيمان والمعمودية يمكن أنْ يخلُص.
- الله قد سبقَ فرأى - قبل تأسيس العالم - أولئك الذين سيثبتون في الإيمان، وبالتالي يساندهم بنعمته وعَيَّنَ لملكوته هؤلاء الذين سبق و عَلِمَ أنهم سيكونون أهلًا للاختيار فدعاهم بحرية.

- لذلك هو يُنذر كل إنسان بأحكام إلهية ليؤمن ويعمل الصالحات، حتى لا ييأس أحدٌ من نَيلِ الحياة الأبدية.

لكنهم يقولون إنَّ دعوةَ الله التي تُمَيِّز بَينَ المُختارين والمرفوضين حيث أنه يخلق البعض آنيةً للكرامة والبعض الآخر آنيةً للهوان بحسب مشيئته، تسلب الخطأة دافع التوبة من خطاياهم، وتُعطي المسيحيين الصالحين عذرًا للفتور. لأنَّ المرفوض لا يستطيع أنْ يدخلَ السماء بأي جهد من جانبه، والمختار لا يمكن أنْ يُطرَد مهما أهمل. فمهما كان سلوكه لا يمكن أنْ يكون مصيره مختلفًا عمّا حدَّدَه الله.

هذا يؤدي إلى تقويض الجهد وإبطال الفضائل. لأنه إذا كان قصدُ الله سابقًا على إرادة الإنسان، فهذا يصنع نوعًا من حتميَّةِ المصيرِ تحت اسم "القَدَر السابق".

يرى هؤلاء أنَّ النعمةَ الإلهية السابقة على استحقاقاتِ المختارين لم تَرِدْ قط عندَ أيٍّ من آباءِ الكنيسة السابقين.

بعضهم، في الحقيقة، لا يزال بعيدًا كل البعد عن ترك تعاليم بيلاجيوس بكليتها.

فهم يقولون إنَّ الأسفارَ الإلهية توقظ إرادةَ الانسان، وهو يختارُ بحريته أنْ يطيعَ أو أنْ يرفض. يترتَّبُ على ذلك أنَّ عِصيانَ الخاطئ يرجع إلى إرادته، كما أنَّ طاعةَ المؤمن ترجع إلى إرادته. ويظنون كذلك أنَّ لكلِّ إنسانٍ القدرةَ على فعلِ الشر أو الخير، وأنَّ العقلَ يميلُ بالقَدرِ نفسه نحو الخطية كما نحو الصلاح، وأنَّ نعمةَ الله تسندُ النفس حين تطلب الخير، أمّا الذي يسعى وراء الشر فينال الدينونة العادلة] [٢].

نُلاحِظُ في شكوى بروسبر أنه لم يذكر اسم القديس كاسيان بالاسم، ووصف جماعته الرهبانية بـ "خدام المسيح"، لكنهم - حسب شكواه - لم يتركوا تعاليم بيلاجيوس بكليتها.

وحدَّدَ بروسبر نقاطَ اتفاقِ واختلافِ تلك الجماعة مع تعاليم معلمه أوغسطينوس:

- هم يتفقون مع أوغسطينوس أنَّ الجنس البشري كله سقط بسقوط آدم، لذلك يحتاج بالضرورة إلى النعمة كي يخلص.

- هم يختلفون مع أوغسطينوس حول نتائج السقوط. فهم يَرَون أنَّ الإنسانَ بعد السقوط يمكن أنْ يُمَيِّزَ بين الخير والشر، لكنه لا يستطيع أنْ يتوجَّهَ إلى الخير من تلقاء نفسه .لذلك، متى سألَ وطلب، يُعطَى المعونة التي تُمَكِّنُه من فعلِ الصلاحِ ونوالِ الخلاص. بينما يرى أوغسطينوس أنَّ إرادةَ الإنسانِ في التوجُّه نحو الله فُقِدَت تمامًا نتيجة السقوط، لذلك لا يمكنه على الإطلاق أنْ يرغبَ في

(2) The Fathers of the Church: V86: Four Anti-Pelagian Writings: 1992.

الصلاح من تلقاء نفسه.

- هم يَرَونَ أنَّ سَبْقَ اختيار الله مبنيٌّ على سَبْقِ علمه بمَن سيستجيب إلى دعوته.
- هم يرفضون تعليم أوغسطينوس بأنَّ النعمةَ تتغلَّب على إرادة الإنسان ولا تُقاوَم.

بعد نياحة القديس أوغسطينوس عام ٤٣٠، حوَّلَ بروسبر اهتمامه من الدفاع عن تعاليم مُعَلِّمه إلى مهاجمة يوحنا كاسيان مباشرةً .فكتب كتابَه "**ضد مؤلِّف المحاورات**" .

وصفَ بروسبر كاسيان في كتابه بأنه مُعَلِّمٌ ورجلٌ حكيم، ومعرفته بالكتاب تفوق كثيرين، لذلك هو يتعجَّب كيفَ أنَّ رجلًا بهذه الصفات يُخطئ ويُنكرُ قوَّةَ الإنجيل.

شرحَ بروسبر في كتابه قراءته الخاصة للمحاورة ١٣ واتهم كاسيان بالاقتراب من تعاليم البيلاجيين الخاصة بتعظيم دَور الإرادة الإنسانية وبالتأكيد على أنَّ النعمة تُمنَحُ حسبَ استحقاقاتِ الإنسان. كما كرَّرَ وجهة نظره أنَّ أيَّ نَقْضٍ لأيٍّ مِن تعاليم أوغسطينوس عن النعمة هو تأييدٌ للبيلاجيين الذين حَرَّمهم مجمع قرطاج.

بعد ذلك سافر بروسبر عام ٤٣١ إلى روما، ساعيًا إلى نوالِ تأييد بابا روما سِلِستين في مقاومته لكاسيان. كتبَ سِلِستين خطابًا إلى الأساقفة في فرنسا يمدح فيه أوغسطينوس، لكنه خلا من أي إشارة إلى الاختيار المُسْبَق أو إلى كاسيان.

ظهر بعد ذلك في الغرب في منتصف القرن السادس عشر تعبير "نصف البيلاجيين" أو "شبه البيلاجيين"، وقُصِدَ به جماعات انتشرت في ذلك الوقت لم تكن تقبل كل تعاليم أوغسطينوس وفي نفس الوقت لم تقبل إنكار البيلاجيين لدور النعمة[٣].

انتشر منذ ذلك الوقت هذا التعبير بين اللاهوتيين الغربيين واستخدموه ليصفوا من يُنكر "سَبْق الاختيار"، وألصقوه بعد ذلك بكاسيان اعتمادًا على قراءتهم للمحاورة ١٣. من هذا العرض نفهم الجَدَلَ الذي أثارته وما زالت تُثيره هذه المحاورة.

لكن تظل هناك عدة أسئلة:

- هل حقًّا اقترب كاسيان في هذه المحاورة من البيلاجية؟
- هل كتب كاسيان هذه المحاورة ردًا على أوغسطينوس، أم أنه كان قد سجَّلَ فيها حواره مع الأب تشيرمون، ثم بعد ذلك وزَّعها على رهبانه حين رأي أنَّ كتابات اوغسطينوس تُهمِّش دَور الإرادة؟

---

(3) I. Backus & A Goudrian: Semi -Pelagianism: the Origin of the Term and its Passage into History of Heresy: J. of Ecclesiastical History: V65: No 1:2014.

خطواتٌ في طريقِ النجاحِ والإبداع (١٩)

المُتحَفُ المصريُّ الكبير

دكتور/ جرجس بشرى

احتفلت مصرُ والعالمُ في أوَّلِ نوفمبر ٢٠٢٥م بافتتاح المُتحَفِ المصري الكبير، ويُعَدُّ إنشاءُ هذا المُتحَف نموذجًا لإنجازٍ متميزٍ وعملٍ ناجح، يُمكِنُنا تطبيقُ هذا النموذج على حياتنا العملية على النحوِ التالي:

١- اكتشافُ نقاطِ القوةِ غيرِ المُستَغَلَّة:

إنَّ الآثارَ التي تمَّ وضعُها في المتحف المصري الكبير لم يتم اكتشافُها حديثًا، ولكنَّ معظمَها كانَ مُكدَّسًا في مخازن المتاحف منذ عشرات السنوات، وقد كان ينقصُنا أنْ يتمَّ اكتشافُ أهميةِ هذه الآثار، كنقطةِ قوة، وإعادةُ عرضُها بشكلٍ ملائم، وفي مكانٍ مناسب، وبطريقةٍ لائقةٍ تعكسُ أهميتها. وهكذا في حياتنا يوجَدُ الكثيرُ من نقاطِ القوة التي تحتاجُ فقط إلى اكتشافها وتوظيفها بشكلٍ مناسبٍ بعدَ إدراكِ أهميتها لكَ وللآخرين، فربما لا نحتاج في حياتنا إلى تعلُّمِ مهاراتٍ كبيرة، ولكن ربما يكون كل ما نحتاجه هو توظيفُ المهاراتِ التي توجَدُ لدَينا بشكلٍ جيد. في الوقت المناسب والمكان المناسب، ومع الأشخاص المناسبين.

٢- أهمية ما تملكه لدى الآخرين واحتياجُهم إلَيهِ:

إنَّ الصدى العالمي لأهميةِ المُتحَف الكبير، وخاصة المتخصصين في الحضارة المصرية القديمة، يعكسُ احتياجَ العالمِ لرؤيةِ هذه الكنوزِ الأثريةِ التي تُمثِّلُ تُراثًا إنسانيًا لكل العالم، ربما رؤية الناس من كل العالم لهذه الآثار لا يكلفك كثيرًا، ولكن بالنسبة لهم يُمثِّل الكثير، ويُعَدُّ مصدرَ دخلٍ أساسي

للعُملة الصعبة في مصر، ويُمَثِّلُ أحدَ ركائزِ القوةِ الناعمةِ لمصر، والعلاقات بين الدول والشعوب، والحضور الدولي لمصر وتأثيرها العالمي. هكذا في حياتنا نحتاجُ لاكتشافِ النقاطِ التي تُمثِّلُ احتياجًا لدى الآخرين، وهذه النقاط يمكن استثمارها لتكون نقطةَ انطلاقٍ نحوَ النجاحِ والتميُّز من خلالِ توظيفِها في خدمةِ ومنفعةِ المحيطين بك.

٣- النظرةُ المستقبلية وتحويلُ الأحلام إلى واقع:

بدأت فكرةُ إنشاء المُتحَف المصري الكبير في التسعينيات، وتم وضعُ حجرِ الأساس عام ٢٠٠٢، واستمرَّ العملُ بشكلٍ دائمٍ أكثرَ من ٢٠ عامًا حتى تمَّ افتتاحُه في نوفمبر ٢٠٢٥. ومن المُؤكد أنَّ مَن قامَ بوضعِ الفكرة، ومَن قاموا بالتخطيطِ والتنفيذ، كان في تصوُّرِهم الشكلُ النهائي الذي سيظهر عليهِ المُتحَف منذ أكثر من ٢٠ عامًا. ولو لم يكن يُوجَد هذا التصوُّر لَما ظهرَ هذا الإنجازُ على أرضِ الواقع، ولو كان الأمرُ قد توقَّفَ عند مُجرَّدِ تخيُّلِ الفكرة دون عملٍ ودون تنفيذٍ ودون مثابرة، لَما ظهرَ شيءٌ ممَّا نراهُ الآن. وهكذا في حياتنا الشخصية، يجب أنْ يكون لدينا تصوُّرٌ عمَّا نريدُ أنْ نكونَ عليه في المستقبل، بعد ٥ سنوات، و١٠سنوات، وعشرين سنة... وأنْ يتحوَّل هذا التصوُّر إلى عملٍ على أرضِ الواقع. وإنْ لم يحدُث هذا، إنْ لم تتحوَّل أحلامُنا إلى وقودٍ يدفعُنا نحو العملِ والمثابرةِ فسوفَ تمُرُّ سنواتُ عُمرِنا دونَ أنْ نصلَ لشيء. وتتحوَّل أحلامُنا إلى صفحاتٍ من الحَسرة والنَدَم على أحلامنا التي كُنَّا نرغب في الحصول عليها، ولم نصل إلى شيء.

٤- المُثابَرَة:

هل فكَّرتَ أنَّ العملَ في إنشاء المُتحَف استغرقَ أكثرَ مِن ٢٠ عامًا؟! وهل فكَّرتَ أنَّ كلَّ يومٍ مِن تلكَ السنواتِ الطويلةِ كانت له خِطَّة، يجب أنْ تتمَّ في نفسِ اليوم دونَ تأجيل، وأيَّ تأجيلٍ ربما يؤدي إلى تأجيل افتتاح المُتحَف، هكذا في حياتنا، كلُّ يومٍ يجبُ أنْ تكونَ له خطَّةٌ وإنجازٌ يُقرِّبنا من تحقيقِ هدفنا، حتى ولو كُنَّا سنصل له بعد ٢٠ عامًا. ألا تَرَى أنَّ تكرارَ نفسِ الشيء كل يوم لأكثر من ٢٠ عامًا قد يبدو أمرًا مُملًّا لدى البعض؟ إنَّ هذا الاستمرارَ في عملِ نفسِ الشيءِ كلَّ يومٍ كلَّ هذهِ المدة الطويلة هو ما يُمكن أن نُسمّيه "المُثابرة"، وحتى لو كان مُمِلًّا، لكن لا يُمكن تحقيقُ إنجازاتٍ كبيرةٍ دونَ مُثابرة.

رفعُ البخورِ في الكنيسة
معناه الإيماني وتاريخُه اللِّيتورجي (٢)

الراهب القس أثناسيوس المقاري

ثانيًا: رفعُ البخورِ في الكنيسة مِن الوِجهةِ الليتورجيَّة:

إنَّ أول إشارة واضحة عن استخدام كلمة بخور في الصلوات الليتورجية تَرِدُ إلَينا من العلَّامة كليمندُس الإسكندري (٢١٥-١٥٠م). إلَّا أنَّ النَّصَّ لا يُفيد بأنه قد تمَّ استخدام البخور فعلًا كمادة في الصلوات الطقسية حتى ذلك الوقت. فيقول:

[إنْ كُنَّا نقول في الكنيسة إنَّ الرَّب كرئيس كهنة أعظم، يُقدَّم إلى الله بخورٌ ذو رائحةٍ زكيَّة، فلا نتصوَّر أنَّ ذلك يُعني ذبيحةً وبخورًا زكيَّ الرائحة. ولكن ينبغي أنْ نفهمَ أنها تُعني أنَّ الرب يصنع ذبيحةَ المحبة المقبولة، كرائحةٍ روحيةٍ عطرةٍ على المذبح] (المُرَبّي ٢:٨).

أمَّا أول وثيقة معروفة لدينا حتى اليوم، تتكلَّم عن استخدام البخور في الخدمة الليتورجية في كنيسة العهد الجديد، فهي النشيد السابع عشر من أناشيد نصيبين للقديس أفرام السرياني (٣٠٦-٣٧٣م) يمتدح فيه الأسقف أبرام أسقف كيدون Abraham de Kidum قائلًا:

[ليكن صيامُكَ حصنًا لبلادنا، وصلواتُكَ رجاءً لقطيعك، وبخورُكَ جالبًا للغفران][1].

وتأتينا أول شهادة وثائقية واضحة عن استخدام البخور في العبادة المسيحية من المؤرخ ثيؤدوريت (٣٩٣ - ٤٦٦م) أسقف قوروش، في موضوعه الثامن والعشرين على سفر الخروج، والذي كتبه سنة ٤٥٣م أو بعدها بقليل، حيث يُعلِّق مُعقِّبًا على الآية: «**فيوقد عليه هرون بخورًا عطرًا كل صباح، حين يُصلح السرج الموقدة**» (خروج ٣٠:٧ - ٨) فيقول:

[نحن نخدم الليتورجيَّة المُخصَّصَة لخيمة الاجتماع أو للهيكل من الداخل، أي تقديم البخور الذي كان يُرفع من داخل القدس في كليهما لأننا نقدم لله البخور وإيقاد السرج، كما نخدم أسرار المائدة

(1) CSCO 92, P. 46. Cf. also, Orien. Christ. Period. (OCP), 1969, p. 371.

المقدسة (المذبح)][٢].

وطقس رفع البخور في الكنيسة في كل مساء وصباح هو طقس قائم بذاته، سواء أعقبه قداس إلهي أم لم يعقبه.

وهذا هو ما يشير إليه ابنُ كَبَر (١٣٢٤م) بقوله: [باكر وعشية قد رُسِمَ فيهما رفعُ البخور، وبالخاصة باكر، فإنه ينبغي رفعه في كنائس الله كل غداة، سواء أعقبَ الصلاةَ قداسٌ أو لم يعقبها][٣].

أمَّا صلوات رفع البخور بحسب الطقس القديم، فكانت تتلخَّص في النقاط الأساسية الآتية:

مباركة اسم الثالوث جهرًا، مع الرشم، ورفع البخور من دُرجِ البخور إلى المجمرة.

يرشم الكاهن دُرجَ البحور بمثال الصليب، ويقول: "**باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد**".

ثم يرفع البحور إلى المجمرة يدًا أولى ويقول: "**مباركٌ الله الآب ضابط الكل آمين**"[٤].

ثم يرشم الدُرج مرةً ثانيةً مثال الصليب، ويرفع البخور ويقول: "**مباركٌ ابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا آمين**"[٥].

ثم يرشم دُرجَ البخور رشمًا ثالثًا بمثال الصليب، ويرفع البخور ويقول: "**مباركٌ الروح القدس المُعزّي آمين**".

ثم يرفع البخور يَدَين بغير رَشمٍ تَتِمَّة خمسة أيادٍ وهو يقول: "**مجدًا وإكرامًا، إكرامًا ومجدًا للثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس، الآن، وكل أوان، وإلى دهر الدهور، آمين**".

يعطي الطقسُ القديمُ لأوشية البخور نفسَ ما يُعطيه الطقسُ الحالي لصلاة الشكر. حيث تُقال جهرًا، وكانت أوشية البخور واحدةً في كلٍ مِن رَفعِ بخور عشية ورفع بخور باكر. وهي التي تُقال الآن في رفع بخور باكر. ولكن في القرون المتأخرة أُضيفَت أوشية بخور عشيَّة.

يقف الكاهن أمام المذبح متجهًا شرقًا، ويقول: (إشليل) أي "**صَلِّ**"، فيجاوبه الشماس باليونانية (إيه بيه إبروس إفكيه إسطاثيتيه) أي "**للصلاة قفوا**"، فيقول الكاهن باليونانية (إيريني باسي) أي "**السلام للكل**"، يقول الشعب: (كيطوبنفماتي سو) أي "**ولروحك أيضًا**".

---

(2) PG 80, 284 B..

(٣) مخطوط رقم (٢٠٣) عربي بالمكتبة الأهلية بباريس، وهو كتاب "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة"، لابن كَبَر، الباب ١٦.

(٤) يرد الشماس عليه كل مرة بالمرد آمين بالمرد "آمين"، كما تُمارَس تمامًا في طقس تقديم الحمل، وكان هذا المرد "آمين"، في الطقس القديم، من نصيب الشعب، ومن ثم فقد تسمَّى الطقس كله، هذه الجزئية منه، فتدعوه "طقس رفع البخور".

(٥) هذا الرشم الثاني ورفع البخور إلى المجمرة هو هو لجميع الكهنة المشاركين. ولكنَّ الطقس القديم كما يشرحه الأنبا ساويرس بن المقفع (حوالي ٩١٥-١٠٠٠م) لم يكن يَعرف ذلك، أمّا في حضور الأسقف فالرشم له، ثم يعطي للكاهن المحور في يده، فيضعه هذا الأخير في الشورية بدون رشم وهو يقول: "مبارك ابنه الوحيد ...".

نَصُّ أوشية بخور باكر (وهي الأوشية الأقدم)

يقول الكاهن: يا الله الذي قَبِلَ إلَيه قرابين هابيل الصديق، وذبيحة نوح وإبراهيم، وبخور هارون وزكريا.

يقول الشماس: صلوا من أحل ذبيحتنا، والذين قَدَّموها.

يقول الشعب: يارب ارحم[٦].

يقول الكاهن: اقبل إلَيك هذا البخور من أيدينا نحن الخطاة رائحة بخور، غفرانًا لخطايانا مع بقية شعبك، لأنه مباركٌ ومملوءٌ مجدًا اسمك القدوس أيها الآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان ... الخ ".

نَصُّ أوشية بخور عشيَّة

يقول الكاهن: أيها المسيح إلهنا العظيم، المخوف الحقيقي، الابن الوحيد وكلمة الله الآب، طِيبٌ مسكوبٌ هو اسمُكَ القدوس. وفي كل مكان يُقدَّم بخورٌ لاسمِكَ القدوس، وصعيدة طاهرة.

يقول الشماس: صلوا من أجل ذبيحتنا، والذين قدموها.

يقول الشعب: يارب ارحم[٧].

يقول الكاهن: نسألك يا سيدنا اقبل إلَيك طلباتنا، ولتستقم أمامك صلاتنا مثل بخور. وليكن رفعُ أيدينا كذبيحةٍ مسائية، لأنك أنتَ هو ذبيحة المساء الحقيقية، الذي أصعدتَ ذاتك من أجلِ خطايانا على الصليب المُكرَّم كإرادة أبيك الصالح. هذا الذي أنتَ مباركٌ معه مع الروح القدس المحيي المساوي لكَ الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين، آمين.

إنَّ "ترتيل أرباع الناقوس"، لم يُلغِ في البداية طقسَ رفع البخور، ومباركة اسم الثالوث كطقسٍ جهاري، إذ توازى الطقسان مع بعضهما البعض[٨]. ولكن مع الوقت احتلَّ ترتيلُ أرباع الناقوس موقعَ الصدارة على حساب العناصر الليتورجيَّة الأقدم منه، وهي رَفعُ البخور إلى المجمرة، وأوشية البخور، التي صارت تُقال سرًا.

فانشغل الشعبُ بما هو أقلّ أهمية، إذا قورِنَ بمباركة الثالوث القدوس، ولا ينبغي أنْ ننسى أنَّ السِمَة الأساسية والمحورية في الليتورجية الشرقية على وجه العموم هي تمجيد الثالوث، فكيف يتحوَّل

---

(٦) يذكر البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٣٧م) هنا: "يقول الشماس" بدلًا من يقول الشعب". وهو ما ينقله خولاجي ١٩٠٢م.

(٧) لا يذكر البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) مردًا للشعب، وهو نفس ما ينقله خولاجي ١٩٠٢م.

(٨) هذا عرفناه من مخطوط ترتيب البيعة رقم (طقس ٧٣) بمكتبة البطريركية بالقاهرة، لسنة ١٤٤٤ م.

هذا العنصر الليتورجي الأساسي إلى صلاة سِرِّيَّة في غيبة من مشاركة شعبية؟ لقد ظلَّ هذا الطقس القديم معروفًا حتى إلى ما بعد منتصف القرن السادس عشر الميلادي في بعض الجهات على الأقل، ولكنه بدأ يخبو رويدًا رويدًا منذ القرن الخامس عشر الميلادي، بعد أنْ دَخَلَت أرباعُ الناقوس، وانتشرت بسرعة، لتطمِسَ طقسًا أصيلًا عاشَ قرابة ألف سنة أو يزيد!

مزامير صلاة باكر، ثم الإبصالية الآدام: "أيها النور الحقيقي ..."

وفي الأيام الآدام (الأحد - الثلاثاء تُقال ذكصولوجيات آدام، وفي نهايتها تُقال الإبصالية الآدام:

(نيك ناي أو بانوتي) "مراحمك يا إلهي"، وأمَّا في الأيام الواطس (الأربعاء – الجمعة) فتُقال ذكصولوجيات واطس.

ثم الإبصالية الواطس: (أو بنشويس إيسوس بخريستوس) "يا ربنا يسوع المسيح".

ثم يُرفَع البخور، والدوران به حول الهيكل[٩] والكنيسة.

وهنا تُقال تسبحة الملائكة، و"السلام لكِ نسألكِ ..."، ثم إبصالية اليوم وثيؤطوكيته[١٠].

ثم تُقال مقدمة قانون الإيمان، والأمانة، وكيريا ليسون، وصلاة الإنجيل، ويُطرَح المزمور، والطواف حول المذبح بالإنجيل المقدس، ثم قراءة الإنجيل[١١]. ثم السنكسار، ثم الأواشي، وأبانا الذي، والتحليل الختامي.

لقد كانت صلاة رفع البخور صلاةً أساسية، وليست صلاةً تمهيدية للقُدس وحَسْب.

---

(٩) ترديد الأواشي الثلاث الصغار حول المذبح، لم يكن معروفًا حتى منتصف القرن السادس عشر الميلادي، على الأقل في بعض الجهات. ولكنه بدأ في الظهور في القرن الخامس عشر الميلادي.

وليست هناك أوشية للمرضى التي تُقال في باكر بعد الدوران حول المذبح ثلاث مرات قَبلَ القرن الخامس عشر الميلادي.

(١٠) ظل هذا الأمر قائمًا حتى القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر للميلاد، لأنَّ ابنَ كَبَر (١٣٢٤٠م) يقول: إنْ كانت (الثيؤطوكية) قد قيلت في صلاة نصف الليل، فالأخف أنْ لا تكرر باكرًا، ومن الناس مَن بُعيد اللُبش الأخير منها فقط، ويختصرون الإبصالية فلا يقولون إلا ثمانية أرباع من آخرها، وأرباعًا يسيرة من (نيك ناي أوه بانوتي) "مراحمك يا إلهي".

وجدير بالذكر أنه قد تنقَّلَ ترتيلُ إبصالية اليوم وثيؤطوكيته بين ثلاثة مواقع، هي:

الموقع الأول: من داخل رفع خور باكر، في الموقع الذي ترتل فيه حاليًا الذكصولوجيات، وهو الموقع الأكثر قدمًا.

الموقع الثاني: قبل رفع بخور باكر مباشرة، وبعد مزامير باكر وما يعقبها من ذكصولوجيات باكر آدام، وهو الموقع الوَسَطي بين القديم والحالي.

الموقع الثالث: في تسبحة السَحَر التي تعقُب تسبحة نصف الليل. وهو ما صار مستقرًا الآن، مع حلول القرن السادس عشر الميلادي.

(١١) لم يكن فصل الإنجيل هو القراءة الكتابية الوحيدة في صلوات رفع البخور. لأنَّ طقس القراءات الكتابية في كنيسة مصر في صلاتي المساء والصباح فيها هو طقس سحيق في القدم، عَمُرَت به كنيسة مصر قبل أنْ تعرفه بقية الكنائس في العالم المسيحي، ففي النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي يحكي بفنوتيوس في تاريخه عن رهبان صحارى مصر، إنَّ اثنين من مدينة أسوان صارا فيما بعد راهبَين قالا: "اعتدنا أنْ نذهب إلى الكنيسة سويًا كل يوم، مساءً وصباحًا، لنسمع الكتب المقدسة التي تُقرأ، وفصل الإنجيل الذي يقول: «من أحب أبا أو أما أكثر من فلا يستحقني ...». ويعتبر العالم كيك H Queck هذه القصة ذات قيمة عالية جدًا، لأنها تُثبت وجود قراءات كتابية في الخدمة المصرية، والتي تُعتبر خاصيةً مصرية تنفرد بها كنيسة مصر (Ibid. p.٣٦)

التمييزُ بين اللاهوتِ الإيجابي واللاهوتِ السلبي

المهندس/ إيهاب عازر

تتمسَّك كنيستُنا القبطية بالإيمان **"المُسلَّم مرةً للقديسين"** (يه١: ٣) ولذلك تتمسَّكُ بكتاباتِ الآباء المُعلّمين من القرون الخمسة الأولى قبل الانقسام، فقد عاشوا واختبروا الإيمانَ الحلوَ وكتبوا عنه.

وعندما نقرأ للآباء المُعلّمين سنلاحظ نوعَين من الكتابات: ما نسميه **لاهوتًا إيجابيًا ولاهوتًا سلبيًا.** يجب أنْ نُميّز وألّا نخلط بينهما.

- **اللاهوت الإيجابي** سهل ومفرح.. يُظهر حلاوة ربنا وحنانه وحبه وقيمتنا الكبيرة عنده.. فإنَّ اللهَ حلو وخلقنا، أي أعطانا الحياةَ من العدم.. الله الحلو تجسَّدَ وعاشَ معنا لنراه بأعيننا ونلمسه بأيدينا (١يو١: ١) **ولنعرف حقيقته الحلوة**.. الله الحلو تبنّانا واتَّحَدَ بنا وسكنَ فينا بثباتٍ ولن يتركنا أبدًا.. اللاهوت الإيجابي دائمًا عملي وروحي ومرتبط بحياتنا العملية وبالصلاة.

- **اللاهوت السلبي** جافٌّ ونظري.. من المهم جدًا جدًا أنْ نفهمَ أنه غير موَجَّهٌ لنا، فهو **لم يُكتَب لتعليمِ المؤمنين**، بل تمَّت كتابتُه للرد على الهرطقات.. وسنجد فيه كلامًا صعبًا ومصطلحاتٍ فلسفيةٍ وإثباتاتٍ عقليةٍ ومنطقًا وجدلًا.

لذلك يجب أنْ **نميز بين الإيجابي والسلبي وألّا نخلط بينهما**.

مثال: إذا تحاورتَ مع شخصٍ مُلحدٍ تقول له: [هل يُعقَل أنَّ الشمسَ أوجدت نفسها؟ طبعًا لا.. لا بُدَّ أنَّ آخرَ قد أوجدها.. من أوجدها هو الله]. هذا ليس تعليمَ المؤمنين الإيمان، بل ردًّا على غير المؤمنين بأسلوب عقلاني.

طريقتان لدراسة العقيدة:

توجد طريقتان لدراسةِ العقيدة: طريقةٌ صعبةٌ ومن الممكن أنْ نظلَّ نُردِّدُ كلامًا صعبًا بدونِ فَهمٍ

حقيقي للمعنى المقصود.. وتوجد طريقةُ ربنا يسوع وهي سهلةٌ جدًا جدًا وواضحة، وسنفهم جيدًا الإيمان.. ومن يتخيَّل أنَّ العقيدةَ صعبة، فهو بدون أنْ يقصد **يخلط بين الإيمان والدفاع عن الإيمان، أي بين اللاهوت الإيجابي والسلبي**.

الحقيقة إنَّ إيماننا المسيحي قد انتشر في العالم بدون استخدامِ كلامٍ نظري وبلاغةٍ وفلسفة.. لأنَّ **المسيحيةَ حياةٌ تُسَلَّم وخبرةٌ تُعاش**.. أنتَ آمنتَ بالمسيح.. فتعرف المسيح بنفسك، وتُصبح لك علاقةٌ شخصيةٌ يومية معه **"الذي رأيناه وسمعناه نخبركم به لكي يكون لكم أيضًا شركةٌ معنا، وأمّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح"** (١يو١: ٣).

الإيمانُ المسيحي سهلٌ جدًا:

- لقد كان ربنا يسوع يتكلم مع فلاحين غير متعلمين، وشرَحَ كلَّ الإيمان المسيحي.. وهذا يُعلمنا أننا نستطيع أنْ نشرحَ كلَّ الإيمانِ المسيحي بكلامٍ سهل. وأيضًا ربنا يسوع كان يستخدم القصص وهي طريقة سهلة ومحبوبة من الجميع فنستطيع نحن أيضًا أنْ نستخدم القصص. **"أجاب يسوع وقال أحمدُكَ أيها الآبُ ربُّ السماءِ والأرضِ لأنك أخفيتَ هذه عن الحكماء والفهماء** (الذين يأخذون ما يعجب عقلهم فقط) **وأعلنتها للأطفال** (أي الذين يقبلون الإيمان بدون فحص عقلي وإثباتات)" (مت١١: ٢٥).

- كيف يَفهَمُ الأطفالُ والناسُ غيرُ المتعلمين الإيمان؟

إننا لا نفهم الإيمان بعقولنا ولا بقراءاتنا، بل إنَّ الله هو الذي يُفهمنا الإيمان. **"فتحَ ذهنَهم ليفهموا الكتب"** (لو٢٤: ٤٥)، **"أعطانا بصيرةً لنعرف الحق"** (١يو٥: ٢٠). الإيمان لا يناله أحدٌ بذكائه ولا بعقله ولا بعلمٍ أرضي ولا يشتريه بالمال.. بل الإيمان هو نعمة وعطية وهبة من الله. **"لأنكم بالنعمةِ مُخلَّصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله"** (أف٢: ٨). **الله هو الذي يُفهمنا** الإيمان ولسنا نحن من عرّفناه بعقولنا.

ومن الملاحَظ أنَّ ربنا يسوع رفضَ المنهجَ العقلاني ولم يستخدم البلاغةَ أو الفلسفةَ أو المصطلحاتِ اللاهوتية نهائيًا في كلامه. ولم يستخدم الأسلوبَ المدرسي أو الشرح النظري في تقديم حقائق الإيمان. وقد أعلن بوضوح **"الحق أقول لكم من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله"** (مر١٠: ١٥). وقد قدَّمَ الإنجيلُ تعريفًا واضحًا للإيمان "وأمّا الإيمانُ فهو الثقةُ بما يُرجَى **والإيقانُ بأمورٍ لا تُرَى**" (عب١١: ١).

مثال ١: في يوحنا ٦ ربنا يسوع تكلَّمَ عن سرِّ التناول **"مَن يأكل جسدي... له حياةٌ أبدية"** (يو٦:

٥٤). فالناس قالوا هذا الكلام صعبٌ **كيف** يعطينا جسده لنأكله؟ ربنا يسوع لم يشرح **كيف**. فالإيمان هو إيمان.

مثال ٢: ربنا يسوع (هو الابن في الثالوث) كان يتكلم عن الآب وأنه أبونا الحلو الذي يحبنا وإننا غاليين جدًا جدًا عنده.. وعلَّمَنا أنْ نخاطبه **"يا أبانا الذي في السموات ".**. فتلميذٌ اسمه فيلُبُّس قال له لقد شوَّقتنا للآب.. نريد أنْ نراه مثلما نراك.. رفض ربنا يسوع المنهج العقلي والإثباتات بما نقتنع به أو نراه بأعيننا.. وطالبه بالإيمان "ألست تؤمن؟".. وقدَّمَ الإعلانَ الإلهي عن الثالوث "الذي رآني فقد رأى الآب.. **ألست تؤمن** أني أنا في الآب والآب فيَّ" (يو١٤: ٩، ١٠).

ولقد اتَّبَعَ كلُّ الرسلِ أسلوبَ ربنا يسوع الواضح والسهل والعملي ولم يستخدموا نهائيًا أسلوبَ الجدال أو الإقناع العقلي النظري الجاف نهائيًا، بل كان كلامهم واضحًا وسهلًا وعمليًا.. وبالرغم من ظهور هرطقات من بداية الكرازة **"قد دخل إلى العالم مُضلون كثيرون لا يعترفون بيسوع المسيح آتيًا في الجسد"** (٢يو١: ٧، ١٠).. كان أسلوب الرسل هو تقديم الحق ومن يقبل يقبل ومن يرفض يرفض" هذه هي الشهادة أنَّ الله أعطانا حياةً أبديةً وهذه الحياة هي في ابنه" (١يو٥: ١١)، (١يو١: ٢).

٣- **الفلسفة هي عبارة عن تفكير العقل البشري**.. هي تصورات عن الله من تحت لفوق، من الأرض للسماء، من **عقل** وتصورات البشر.. لكن الإعلان الإلهي هو من فوق لتحت، من الله للإنسان.. وحيث أنه من الله فهو صحيح وحق.. لكنَّ **الفلسفة هي نتاج العقل البشري**. والبعض يجد كلامَ القديس بولس الرسول صعبًا فتخيلوا أنه يستخدم الفلسفة لذلك يسمونه [فيلسوف المسيحية]. لكن في الحقيقة هو لم يستعمل الفلسفةَ والجَدَلَ نهائيًا وقد قالها بوضوح **"كلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المُقنع، بل ببرهان الروح والقوة"** (١كو٢: ٤).

٤- آباء الكنيسة، مُعلمو العقيدة، رفضوا الإثباتات العقلية، فمثلًا القديس أثناسيوس كان يتعجَّب من سؤال الناس [كيف أنَّ الله ثالوث وهو واحد؟]. كان ردُّ القديس أثناسيوس واضحًا وحاسمًا [إنَّ توجيّه مثل هذه الأسئلة عن الله يكون جرأةً جنونية، **لأنَّ الإلوهية لا تُسلَّم لنا بواسطة براهين كلامية**، بل **بالإيمان** مع التفكير بتقوى ووقار][1]. وكذلك القديس غريغوريوس اللاهوتي[2] وغيرهم قد رفضوا الإثباتات العقلية تمامًا.

---

[1] القديس أثناسيوس – كتاب الرسائل عن الروح القدس – ٢٠٠٥ – صفحة ٦٤، ٦٥

[2] مختارات من القديس إغريغوريوس اللاهوتي النزينزي - منشورات النور - صفحة ٩٨

تاريخُ الكنيسةِ ما قَبلَ مَجمَع نيقية ٣٢٥م

الحَلَقة السادِسَة

دكتور/ سينوت دلوار شنوده

الملك قُسطَنطين وأزمة أريوس:

وُلِدَ قُسطَنطين في نايسوس (نيش حاليًا) في صِربيا بَين عامَي ٢٧٠ ، ٢٨٨م. ونشأَ في أسرةٍ وثنيةٍ ولكنها مُتسامِحة، وربَّما كانت تميلُ إلى المسيحيةِ نوعًا ما، فأبوه هو القَيصَر كونستاتُس كلور، ووالدته هي الملكة هيلانة التي كانت قد أمَنَت بالمسيحية وزَرَعَت روحَ التسامح بين أفرادِ أسرتها، ولهذا نشأَ قسطنطين متسامحًا جدًا فهو الذي أصدرَ مَرسومَ ميلانو للتسامح الديني، وأعادَ للكنيسة أوقافَها وللمسيحيين أملاكهم المحجوز عليها، بل أكثر من هذا وزَّعَ الأموالَ على الكنائسِ ورجالِ الإكليروس، وأعفاهم من الضرائب، وسَمَحَ ببناءِ الكاتدرائياتِ والكنائس الكبرى، وفيما بعد في عام ٣٣٠م اتَّخَذَ قسطنطين بيزنطة عاصمةً لمملكته ومَقَرًّا له، وجدَّدَ أبنيتَها، ووسَّعَ طُرقَها، وأطلقَ عليها القُسطَنطينيَّة تَيَمُّنًا باسمه ودُعيَت روما الثانية، ومِن هذا اليوم اعُتبرَت هي عاصمةَ الأرثوذكسية ورمزَها حتى اليوم[١]. كل ذلك دفعَ قسطنطين إلى الشعورِ بأنه صورةُ الله على الأرض، واعتبرَ ذاته مسئولًا عن خلاصِ شعبه، وبدأَ يتدخَّل في أمورِ الكنيسةِ الروحية والزمنية للحفاظِ على سلامِ الإمبراطورية وجَمعِ شَملِ الشعبِ تحتَ قيادتِهِ وسيطرته، ولهذا أصبحَ فعليًا رئيسًا للمسيحيين وقائدًا لهم.

وهكذا نَعِمَت الكنيسةُ في ذلك الوقتِ براحةٍ كبيرةٍ ومساحةٍ أوسع لعملِها الرعوي والكرازي، لكنْ على ما يبدو أنَّ أثناءَ موجاتِ الاضطهادِ كان المسيحيون الأوائل متماسكين في جبهةٍ واحدةٍ للدفاعِ عن كيانهم ووحدتهم، ولم يكن لديهم وقتٌ يَسمحُ لهم بالمزيد مِن الجَدَلِ حولَ تفاصيلِ القضايا العقائدية واللاهوتية[٢]، وبعدَ أنْ خفَّت ضغوطُ الاضطهادِ عليهم بدأُ الجَدَل حولَ المسائلِ اللاهوتية تَزدادُ وتيرتُه، وأدَّى ذلك إلى ظهورِ الهراطقةِ بصورةٍ مسكونيةٍ ذاتَ تأثيرٍ واسعٍ أمتدَّ إلى مُعظَمِ أنحاءِ الإمبراطورية بعدَ أنْ كانت الهرطقاتُ لها طابعٌ محلِّيٍّ أو مكانيٍّ وذاتَ تأثيرٍ محدود، وفي تلك الأثناءِ ظهرَ أريوس القسُّ

---

[١] الأب ميشال أبرص، الأب أنطوان عرب **"المجمع المسكوني الأول"**، مرجع سابق، ص ٤٨.

[٢] د. عزيز سوريال عطية **"تاريخ المسيحية الشرقية"**، ترجمة إسحاق عبيد، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص ٥٢.

الإسكندري وظهرت معه الأريوسيَّة التي انطلَقَت من الإسكندرية لتَعُمَّ وتنتشرَ في كلِّ أنحاءِ الكنيسة الشرقية كلها، وهي المتعلِّقة بعلاقةِ أقنوم الابن كلمة الله الأقنوم الثاني بالآب الأقنوم الأول كما سيأتي القول، وما أنْ نما إلى عِلمِ الإمبراطور قسطنطين هذا الخلاف بين أريوس وأسقف الإسكندرية البابا ألكسندروس حتى سعى إلى حَلِّهِ بصورةٍ ودِّيَةٍ سلمية موفِدًا مندوبًا عنه ليتوسَّطَ بين الجانبَين للحفاظ على السلام في الإمبراطورية، لكنْ فشلَ هذا المندوبُ في إعادةِ الوِفاقِ بينهما، مِمَّا دفعَ الإمبراطورَ إلى اتخاذِ قرارٍ حاسمٍ بالدعوةِ لاجتماعٍ لأساقفةِ الكنيسةِ المسيحيةِ كلهم تحت رئاسته؛ لعَرضِ هذه المسألة وغيرها عليهم واتخاذِ القرارات والقوانين اللازمة لحل هذا الخلاف. وبهذا حانَت للكنيسة فرصةٌ ذهبيةٌ لتجتمعَ كلها معًا من أجل اتخاذ موقفٍ مُوَحَّد تجاهَ هرطقةِ أريوس، وتُرسي تقليدًا جديدًا وهو اجتماع المجامع المسكونية.

مَن هُوَ أريوس؟

وُلِدَ آريوسُ في ليبية (القيروان) بأفريقيا سنة ٢٧٠م، ولا يُعرَف شيءٌ عن أسرته، درسَ اللاهوتَ أوَّلًا في مدرسةِ أنطاكية على يدِ لوشيانوس أو لوكيانوس، وكان له إلمامٌ كبيرٌ بعلومٍ كثيرة بالإضافة لفصاحته ولُطفِ مُعاشرته وحبه للتَعَلُّم، ثم جاءَ إلى الإسكندرية راجيًا الوصول إلى درجاتٍ عاليةٍ في العلوم اللاهوتية، وبالفعل تقدَّمَ في عُلومِها تقدمًا باهرًا ونالَ درجاتٍ رفيعةٍ لفصاحته وقوة عِلمِه. في بدايةِ الأمرِ انضمَّ إلى ميليتُس أسقف ليكوبوليس (أسيوط حاليًا) وساعدَهُ على العصيانِ ضدَّ البابا بطرس بابا الإسكندرية خاتمِ الشهداء، ولكنه سُرعان ما تصالَحَ مع البابا بطرس بابا الإسكندرية فرَسَمَهُ شماسًا سنة ٣٠٦م[٣]، ثم عادَ ورسمه قسًا على الإسكندرية على كنيسة بوكاليا أو بوكاليس الرئيسية في عام ٣١٠ أو ٣١١م[٤]، ثم أَعلنَ حَرمَهُ بعدَ ذلك قَبلَ استشهاده بوقتٍ قصير، وأوصى تلميذَيه أرشيلاوس وألكسندروس بعدم قبوله.

بعد استشهادِ البابا بطرس في عام ٣١١م جلسَ على الكرسي المرقسي البابا أرشيلاوس البابا ١٨ في عدادِ بطاركةِ الكرسي الإسكندري، وقد جاءَهُ أريوس مع بعضِ أتباعِهِ مُظهرًا توبةً زائفةً فقَبِلَهُ البابا أرشيلاوس وضَمَّهُ لشَرِكَةِ الكنيسة، ولكنَّ البابا أرشيلاوس لَم يجلس على الكرسي المرقسي سوى ستة

---

[٣] الأنبا يؤانس المتنيح أسقف الغربية **"محاضرات في التاريخ الكنسي – المجامع المسكونية"**، مطبعة الأنبا رويس، ١٩٩٤م، ص ٢٧.

[٤] جون لوريمر، مَرجِعٌ سابِق، ص ٢٤٧.

أشهر وتنيَّحَ بسلام، وجلسَ بعده على الكرسي المرقسي البابا ألكسندروس البابا ١٩ فجَدَّدَ حَرمَ أريوس مِن جديد وناهَض بدعته[٥].

كان آريوس مُخادِعًا، استطاعَ أنْ يَضُمَّ حتى بعض الأساقفة إلى صَفِّهِ بكَونه الرجلَ الغَيور والخادم المُضطَهَد، فكان يتَّهِمُ البابا ألكسندروس بالسابيلية أي التابع لبِدعَةِ سابِليوس التي تدَّعِي أنَّ الثالوث القدوس أقنومٌ واحدٌ يَظهَرُ تارةً إنه الآب وأخرى الابن وثالثةً الروح القدس[٦]، ومِن جِهةٍ أخرى كان يُخفي بِدعتَهُ تحتَ ألفاظٍ مُضَخَّمَةٍ كالقولِ بإنَّ الابنَ ولدَ قبلَ كلِّ الدهور، لكنه يَحجِبُ أحيانًا كلماته بأنه كانَ قبل ولادته غيرَ موجود، فالآب لم يكن دومًا أبًا، وعَلِمَ ألكسندروس أنَّ أساقفة مصر يقولون قَولَه، فدعاهم إلى مَجمَعٍ في الإسكندرية، وأطلَعَهُم على بِدعَةِ آريوس، وكانوا مائةً، فشَجَبَ ثمانيةٌ وتسعون منهم قولَ آريوس، وامتنعَ عن الشَجْبِ أسقفان فقط، فقطعَ المجمعُ الإسكندري آريوس وهذَين الأسقفَين وستةَ قساوسةٍ وستةَ شمامسة[٧].

وقصدَ آريوس أسقفَ قيصرية فلسطين يوسابيوس المؤرخ، وكان يوسابيوس سيدًا منظورًا وعالمًا كبيرًا، لكنه ربما لم يُدقِّق أمْرَ الثالوث تدقيقَ آريوس، ولم يتَّخِذ موقفًا مُحدَّدًا مِن هذا الموضوع، ولكنَّ غُموضَهُ في التفكير لم يَمنعه عن إنقاذ آريوس، فإنه كتبَ إلى ألكسندروس أسقف الإسكندرية يلومه على تحريفِ أقوالِ آريوس، وأشارَ على آريوس بالكتابةِ إلى أسقفِ نيقوميدية لتوضيحِ موقفه، فكتبَ أريوسُ وحصرَ شكواه في أنه قُطِعَ لأنه لم يَقُل إنَّ الابنَ غيرُ مخلوق[٨]. ويوسابيوس أسقف نيقوميدية رُسِمَ بادئ ذي بدءٍ أسقفًا على بيروت، ثم أصبحَ أسقف نيقوميدية، واتصل بقسطندية أختِ قسطنطين وزوجة ليكينيوس ونالَ ثِقَتَها، فشفَعَت له عندَ أخيها، فتقرَّبَ من الإمبراطور، فخَفَّ لحاجاته واهتمَّ بشئونه. وبهذا استطاعَ أنْ يكسَبَ يوسابيوس النيقوميدي في صَفِّهِ ليَقِفَ بجانبه، يسنده ما استطاع ضدَّ البابا الإسكندري لدى الإمبراطور، وقَبِلَه كاهنًا في إيبارشيته، وطلبَ من أسقف الإسكندرية رفعَ الحرمان عنه ولكنه رفَضَ، وخلال هذه الفترة ألَّفَ آريوس كتابَ **"الثاليا"** الذي شرحَ فيه تعاليمه. عادَ آريوس إلى الإسكندرية بعدَ فترةٍ مع مجموعةٍ من أتباعه، وبدأ ينشرُ تعاليمه عن طريقِ الترانيم والأناشيد، ولأنَّ الإسكندرية ميناءٌ عظيمٌ وصَلَت تعاليمه إلى الكثير من بلاد الشرق والغرب.

---

٥ الأنبا يؤانس **"محاضرات في التاريخ الكنسي"** مَرجِع سابق، ص ٢٨.

٦ سقراتيس سكولاستيكوس **"التاريخ الكنسي"**، تعريب الأب الدكتور بولا ساويرس، الناشر المُعَرّب، ٢٠١٣م، ص ٣٣

٧ المَرجِع السابق ص ٣٥.

٨ Arius, Epist. ad Euseb., Epiphane, Haeres., LXIX, 6.

الإفخارستيا في فِكرِ القديس إيريناؤس - أسقف ليون

الشماس الإكليريكي/ جون ممدوح

يُعتَبَرُ القديس إيريناؤس أحَدَ أشهَرِ لاهوتيي القرن الثاني، ولقد لُقِّبَ بأنه **"أبو اللاهوتِ المسيحي"** و**"أبو التقليد الكنسي"**، وذلكَ بسببِ دفاعِهِ عن العقيدةِ المسيحية ضِدَّ الأفكارِ الغُنوسيَّة والتي كانت قد انتشرَت بشكلٍ كبيرٍ في الكنيسة في تلكَ الفترة، وهجوم أصحاب هذه المُعتَقَداتِ على تجسُّدِ الرب يسوع، وأفكارهم عن كل ما هو مادِّيّ، أنه شَرٌّ ويجب أنْ يكون تجسُّدُ الرب يسوع ليس تجسُّدًا حقيقيًّا، ورفضهم اشتراك الجسد في القيامة وأنها تخُصُّ الروحَ فقط، فكان للقديس إيريناؤس ردودٌ قاطعةٌ في ظلِّ تلك الصراعات الفكرية والمُغالطات العقائدية بأنه أكَّدَ كثيرًا على حقيقةِ تجسُّدِ الربِّ يسوع وارتباط القيامة بكيانِ الإنسانِ جسديًا وروحيًا علي مثالِ قيامةِ المسيح، واستخدمَ سِرَّ الإفخارستيا كوسيلةٍ قويةٍ أكَّدَ بها على اتحادِنا بالرب يسوع، فيكون خلاصُنا مضمونًا فيه.

فنَجِد القديس إيريناؤس يعترضُ على الغنوسيين المُدَّعين بأنَّ الجسدَ لن يحصُل على الخلاص، وأنه إلى زوالٍ فيقول: [باطلٌ هو رأي أولئك الذين يحتقرون تدبيرَ الله وينكرون خلاصَ الجسد، ويتشكَّكون في إمكانية تجديده، ويزعُمون أنه غيرُ قادرٍ أنْ ينالَ عدمَ الفساد. لأنه لو كان الجسدُ غيرَ قادرٍ أنْ ينالَ الخلاص، لَما كان الربُّ قد افتدانا بدمه، ولا كانت كأسُ الإفخارستيا هي شركةَ دمه، ولا الخبز الذي نكسره هو شركةَ جسده، فإنَّ الدمَ لا يأتي إلَّا مِن الشرايين ومِن الجسدِ ومِن الكَيانِ البشري كله، تلكَ الأمور التي قد اقتناها بالفعلِ كلمةُ الله، حتى أمكنه أنْ يفدينا بدمه كما يقول الرسول: **"فيه لنا الفداءُ بدمِهِ غفرانُ الخطايا"** (أف١: ٧)][1]، ولقد أكَّدَ القديس إيريناؤس كبقيةِ آباءِ الكنيسة أنَّ الخلاصَ شامِلٌ لكلِّ كيانِ الإنسان جسديًا وروحيًا، وأنَّ خلاصَ الجسد تمَّ بما أنَّ المسيحَ قدَّمَ جسده ودمه ذبيحةً على الصليب، وعلى نفسِ ذلك القياس فإنَّ اتحادَنا في الإفخارستيا بجسدِ المسيح ودمه فهو اتحادٌ على المستويَين الجسدي والروحي، وبذلكَ يكون خلاصُه مضمونًا.

ونَجِدُ القديس إيريناؤس يعود مرةً آخرى ليؤكِّدَ على أنَّ الجسدَ الإنساني قادرٌ على أنْ يحيا الحياةَ

---

(١) ضد الهرطقات ٥: ٢:٢

الأبدية، وأنَّ عطيةَ القيامةِ ستُمنَح للجسدِ أيضًا [حينما يَحِلُّ كلمةُ الله على الكأسِ الممزوجةِ وعلى الخبز، وتصير الإفخارستيا جسدَ الرب ودمه، ثم تغتذي أجسادُنا من هذه الأشياء، فكيف يُمكنهم أنْ يقولوا: إنَّ الجسدَ غيرُ قادرٍ أنْ يَقبلَ عطيةَ اللهِ التي هي الحياةُ الأبدية، ذلكَ الجسدُ الذي اغتذى من جسدِ الربِّ ودمِهِ وصارَ عضوًا فيه؟!، فإنَّ الرسولَ المبارك بولس يقول: **"إننا أعضاءٌ مِن جسمه، مِن لحمه ومِن عظامه"** (أف٥: ٣٠)][٢].

ولذلك فالقديس إيريناؤس وَجَدَ أنَّ خلاصَ الإنسانِ مضمونٌ لكلِّ كيانه بسبب اتحاده بالمسيح في الإفخارستيا على كلا المستويَين الروحي والجسدي، فهو يقول في موضعٍ آخر [لو لم يكن الإنسانُ قد اتَّحَدَ بالله لَما استطاعَ أنْ يشتركَ في عدمِ الفساد][٣]، وكما أشَرنا سابقًا أنَّ الإفخارستيا في فكرِ القديس إيريناؤس هي وسيلةٌ أساسيَّةٌ ورئيسيَّةٌ للاتحاد بالله، وهذا الاتحاد الذي مِن خلاله ننالُ عدمَ الفسادِ الذي مِن البدءِ هو الغاية والهدف مِن خَلقِ الإنسان أنْ يحيا للأبد أي في عدمِ الفساد، كما تُصلِّي الكنيسةُ في القداس الباسيلي [يا اللهُ العظيمُ الأبدي الذي جَبَلَ الإنسانَ على غيرِ فسادٍ]. وأيضًا نَجِدُ القديس إيريناؤس يشرحُ مُجدَّدًا الكيفيَّة التي بها نشتركُ في عدمِ الفساد أو عدمِ الموت باتحادنا بالله فيقول: [لم يكن مُمكنًا أنْ نشتركَ في عدمِ الفسادِ وفي عدمِ الموت، إلَّا باتحادنا بذاكَ الذي هو نفسه عدمِ الفسادِ وعدمِ الموت. ولكن كيف كان يُمكن أنْ نتَّحِدَ بالذي هو عدمِ الفسادِ وعدمِ الموتِ ما لم يكن عدمُ الفساد وعدمُ الموت هو نفسه قد سبقَ وصارَ على حالِنا، حتى يُبتَلَعَ الفاسدُ من عدمِ الفسادِ والمائتُ من عدمِ الموت، فننال التبني!][٤]، فالإفخارستيا هي الوسيلة التي يُشِعُّ من خلالها وينتقل إلَينا كلُّ ما فعلَ المسيحُ في جسده، فنكون أبناءً لله بالتبني، ومُقَدَّسين ومُخَصَّصين لله، وتتغيَّر صورتُنا إلى عدمِ الفساد، وننالُ هبةَ الحياةِ الأبديةِ باشتراكنا في الحياة الإلهية، ونُصبحُ غَرسًا جديدًا ثابتًا في الكرمة الإلهية. [كما أنَّ الخبزَ الأرضيَّ متى قَبِلَ استدعاءَ الله لا يعود بعد مُجرَّد خبزٍ ساذج، بل إفخارستيا مُكوَّنة من شِقَّين: الأول أرضي والآخر سماوي، هكذا أجسادُنا أيضًا متى قَبِلَت الإفخارستيا لا تعود بعد مُعرَّضة للفساد، إذ يكون فيها رجاءُ القيامة الأبدية][٥].

إذن باتحادنا بالمسيح في الإفخارستيا لا نعود مُجرَّد بشرٍ عاديين، بل تكون بداخلِنا ساكنةٌ القوةُ الإلهية، وهي قوةُ الحياةِ كما قال المسيح **"أنا هو الحياة"** (يو١٤: ٦)، وهكذا فإنَّ الالتصاق والاتحاد بالمسيح في الإفخارستيا هو اتحادٌ بمَصدرِ الحياة وواهبها وضامنها.

---

(٢) ضد الهرطقات ٥ :٢: ٣.
(٣) ضد الهرطقات ٣: ١٨: ٧.
(٤) ضد الهرطقات ٣: ١٩: ١.
(٥) ضد الهرطقات ٤: ١٨: ٥.

تأثيرُ إيـمـانِنا بالتجسُّد في حياتنا

الإكليريكي/ بيشوي فخري

التجسُّد الإلهي عُرسٌ روحي، فيه جاء العريس ليتَّحِدَ بطبيعتنا العاقر لتثمر ثمارًا روحية، والعُرسُ في المفهوم البشري هو أكثر المناسبات تعبيرًا عن الحب والفرح، وبهذا المفهوم قال القديس **كيرلس الكبير**: [لقد نزل كلمةُ الله من السماء، لكي يتَّحِدَ بطبيعة الإنسان بصفته العريس فيجعلها بذلك تُثمرُ الثمارَ الروحية، ولأجل ذلك تُدعى البشرية عروسًا كما يُدعى المخلِّص العريس]... جاء المسيح إلى العالم لكى يهبنا حياته الإلهية التى هى الحياة الأبدية، جاء **"لِكَيْ نَحْيَا بِهِ"** (١يو٤:٩) أي لنحيا بحياته. جاء **"لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ"** أي لنصير **"أبناء الله"** (غل٤:٥-٦)...تجسَّدَ ليُعطينا حياةً تختلف عن حياة العالم... اتَّحَدَ بطبيعتنا، لتتبدَّل حياتنا وترتقي، وتظهر قوته في ضعفي. يهبني نصرته، فأحيا غالبًا. يسكن هيكلي، فأعيش طاهرًا. صار إنسانًا وعاش كالبشر لنعيش كأولاد الله:

- **نسلُكُ كأولادٍ لله**:

إنَّ التجسُّدَ الإلهي، مَنَحَنا أنْ نكون أبناءً لله، لأنَّ نوالَ البنوة لله، لم يكن ممكنًا أنْ يتمَّ إلّا مِن خلال الإيمان بالابن المتجسد: **"أَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ"** (غل٣:٢٦)، ويُشيرُ القديس **يوحنا ذهبي الفم** إلى أهمية اتحاد الإنسان بالمسيح قائلًا: [لقد أخذَ جسدًا إنسانيًا لكي يسكن فينا]. وسُكنى المسيح داخل الإنسان تُعني بالضرورة القُدرة على السلوك كما سلكَ المسيح، هذا ما يؤكده القديس يوحنا: **"إِنَّهُ ثَابِتٌ فِيهِ يَنْبَغِي أَنَّهُ كَمَا سَلَكَ ذَاكَ** (المسيح) **هكَذَا يَسْلُكُ هُوَ أَيْضًا"** (١يو٢:٦). فقد تجسَّدَ ابنُ الله الكلمة، ليُعلِّمَنا كيف نسلك كأولاد الله، بل أعطانا الإمكانيةَ لذلك بروحه الساكن فينا: [هو أخذَ جسدنا، وأعطانا روحه القدوس..وجعلنا واحدًا معه من قِبَلِ صلاحه] (ثيؤطوكية الجمعة – القطعة الثالثة).

لقد أضاءَ علينا نحن الجالسين في الظلمة لكي نسلكَ في نورِ الحياة الجديدة لأنه هو النور الحقيقي. جاءَ أقنومُ الحكمة في الجسد لنعرف الله فلا نسلك في جهل. أخلى ابن الله ذاته، وقَبِلَ طبيعتنا البشرية مولودًا حسب الجسد، لكي يفتح لنا بروحه القدوس ميلادًا روحيًا، فنتقبَّل غناه

فينا، وصارت أغنية الكنيسة الدائمة: [صار ابن الله ابنًا للإنسان لكي يصير بنو البشر أبناءً لله]. فيقول **العلامة أوريجانوس**: [صار مثلهم ليصيروا هم مثله، مشابهين صورة مجده (رو٨: ٢٩). في مجيئة الأول صارَ مشابهًا لجسدِ تواضعنا (في٣: ٢١)، إذ أخلى نفسه وأخذ شكلَ العبد، حتى يُدخل البشر إلى شكلِ الله، يجعلهم على شبهه]. ويقول **إكليمنضس السكندري**: [صارَ كلمةُ الله (اللوغوس) إنسانًا حتى تتعلَّمَ كيف يصيرُ الإنسانُ إلهًا]. و **ق. إيريناؤس**: [صار الله إنسانًا لكي يصير الإنسان إلهًا]. ويقول أبونا القديس **بيشوي كامل**: [لا تقل يا عزيزي إنك بشر، بل قُل دائمًا "أنا ابن الله"].

لذلك نحن لا نُشبِه العالم ولا تصرفات العالم ولا سلوكه لأننا غرباء عنه، وانتقلنا من العبودية إلى البنوية: [يا للإحسان الفائق! يا لِلُّطف المنقطع النظير واللائق به وحده! إنه يخلع علينا مجده الخاص! إنه يرفع العبيد إلى كرامة الأحرار! إنه يسمح لنا أنْ ندعو الله أبًا لنا، بصفتنا قد ارتقينا إلى طقس البنين] (**ق.كيرلس الكبير**).

- **نحيا في تقدير الجسد**:

بالتجسُّد الإلهي، لم يُصبح الجسد عدوًا مُحتقَرًا، بل استعادة لكرامته التي خلقه الله عليها. فقد اتَّخَذَ الله جسدًا من نفس طبيعتنا ووحَّدَهُ بنفسه إلى الأبد. وربنا يسوع يحتفظ بالجسد متحدًا به بعد صعوده إلى السماء وهو جالس بجسده عن يمين الآب ممُجَّدًا بمجدِ الإلوهية الذي يفوق كل وصف وإدراك.

فاتخاذ ابن الله جسدًا يتناقض مع كل نظرة أو رأي يُحقِّر الجسد أو يعتبر أنَّ الجسدَ شرٌّ في ذاته. فلَو كانَ الجسدُ كذلك لما أخذَ ابنُ الله جسدًا، بل هو صار جسدًا لكي يُصلح بواسطة الجسد ذلك الفساد الذي حدث بسبب سقوط الإنسان في الخطيئة. وهكذا بالتجسُّد والصعود فتحَ المسيح لنا الطريق للدخول إلى الميراث الذي لا يَفنى ولا يتدنَّس ولا يضمحل.

فالجسد يُعَدُّ للاشتراك مع المسيح في المجد، وله بالمسيح وفي المسيح مجدٌ أعظم من الملائكة. لذلك لم يعُد الجسد سجنًا وعبئًا، بل شريكًا في الجهاد ليكون شريكًا في الميراث الأبدي، ولم يعُد شريرًا في ذاته، بل هيكلًا مُقدَّسًا لله. فالشر موجود في النفس والجسد وليس في الجسد فقط. والشر ناتج عن مَيلِ إرادة الإنسان وليس من طبيعة الجسد أو النفس. فمثلًا إفرازات الجسد بالنسبة للرجل أو المرأة

ليس فيها شرٌ أو دَنَسٌ في ذاتها إذ هي مرتبطة بالحياة البيولوجية، فإنَّ الجسدَ بما فيه من أجهزة وأعضاء بشرية كلها مقدسة وطاهرة حتى الأعضاء التناسلية لها كرامتها الفائقة كمُستودَع لامتدادِ الحياةِ البشرية والتعبير عن المحبة الطاهرة ولكنَّ الشرَّ ينتُجُ عن الإرادة. يقول **القديس كيرلس الأُورشليمي**: [لا تقلْ لي إنَّ الجسدَ هو سببُ الخطيئة، لأنه لو كان الجسد هو سبب الخطيئة، فلماذا لا يخطيء الميت؟ ضع سيفًا في اليد اليمنى لشخص ماتَ حديثًا، تجده لا يرتكب جريمة قتل. اسمحوا لجميلات من أي نوع أنْ تمُرَّ أمام شاب مات لِتَوِّه، فلن تثورَ فيه رغبةٌ نجسة. لماذا؟ لأنَّ الجسدَ لا يُخطيء من ذاته، ولكنَّ النفسَ هي التي تُخطيء من خلال الجسد، في حين أنَّ الجسدَ هو أداة، هو كِساءٌ ورِداءٌ للنفس، فإذا قَبِلَ هذا الأخيرُ الزنا بواسطة الجسد، فإنه يُصبح مُدَنَّسًا: ولكن إذا كان الجسد يسكن مع النفس المقدسة، فإنه يُصبِح هيكلًا للروح القدس...].

لذلك الكنيسة في عبادتها تُعطي الجسد ما يُناسبه ليشترك في عبادة حقيقية، فيتنسَّم رائحة بخور، ويرى نوافذ السماء من خلال الأيقونات، ويسمع موسيقى الروح بنغمات خشوعية، ويمتنع عن الطعام ليطيرَ خفيفًا في صعود روحاني، ويسهر مُسبِّحًا ليرتشفَ من نسماتِ الأبدية، الجسد يسجُد سجودَ الروحاني، يسقط مع المسيح تحت ثقل الصليب ثم حمله والقيام به مثل سمعان القيرواني، سجود الجسد الروحاني هو موت (بالتلامس مع الأرض)، وحياة بالقيام عن الأرض، لنتذكَّر الحياة الأبدية والقيامة مع المسيح القائم من بين الأموات! ... إلخ.

- **نسلُكُ كجسدٍ واحدٍ تحتَ رأسٍ واحد**:

جاءَ المسيحُ رأسًا جديدًا للخليقة الجديدة، ليُجمَعَ الكلُّ كأعضاء لجسدٍ واحد... أحَبَّ البشرية كلها، واتحد بطبيعتنا الفاسدة ليشفيها ويرفعها. وأحَبَّ الجميع، والتفَّ حوله كل الناس. وهذا ما دعا رؤساء الكهنة أنْ يقولوا **"هُوَذَا الْعَالَمُ قَدْ ذَهَبَ وَرَاءَهُ!"**. والحقيقة أنَّ الكل قد صاروا وراءه، لأنه رفع من مكانة الفئات المُتدنية في المجتمع، وألغى الفوارق الاجتماعية والعنصرية بين الناس.. فكل الفوارق الاجتماعية لم يعد لها وجود: **"لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ"** (غل٣:٢٨)، أي أنَّ الجميع صاروا واحدًا في المسيح، هكذا أكَّدَ **القديس يوحنا ذهبي الفم** في حديثه عن التناول: [هل أنتَ غني؟ حتى وإنْ كنت؛ فليس لك أفضلية على الفقير.

هل أنتَ فقير؟ إنك لست أدنى من الغني. فالفقر لن ينتقص من أفراح المائدة الروحية. لأنَّ النعمةَ هي مِن الله وهي لا تُميّز بين الأشخاص. هذه هى العطايا الروحية، التي لا تُقسِّم المجتمع بحسب المناصب، بل بحسب المستوى الروحي وبحسب استقامة أفكار كل أحد. ولهذا فإنَّ الملك والفقير يتقدَّمان معًا نحو الأسرار الإلهية بنفس الثقة وبنفس الكرامة، لكى يتمتعا بالتناول منها. لأنَّ لِباسَ الخلاص هنا هو واحد للجميع أغنياء وفقراء، والرسول بولس يقول **"لأنَّ كلكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح"** (غل٣:٢٧)]. هذه هي ملامح الحياة الجديدة في المسيح، اختفاء كل أثر للتمييز بين البشر، الجميع واحد في المسيح... منجمعين معًا كأعضاء لجسد واحد تحت رأس واحد هو ربنا يسوع... أنْ نؤمنَ بالتجسُّد الإلهي، يُعني أنْ نتعامل مع الخليقة كلها بحب العضو للعضو في الجسد الواحد، بدون طبقية أو تمييز... بدون أنانية وحروب، لهذا يحتاج العالم أنْ يجتمع حول طفل المذود يُعطي المجد لله في الأعالي حينئذ يعُمُّ السلام على الأرض فتمتلئ البشرية بالمسرة!

✞✞✞✞✞✞✞

كلمات روحية لبناء النفس (٢٩)

+ الكارز بالإنجيل يزف أعظم بشرى لخلاص الخطاة، ويضرم فيهم روح الرجاء.

+ الصلاة بخشوع أمام الله هي لحظات مقدسة، يشعر فيها الإنسان بأنه قريب من الله والسماء.

+ التأمل في كلمة الله تنقل فكر الإنسان إلى آفاق أخرى، أي تنقله في هدوء من الأرض إلى السماء.

+ الذهن المنفتح على شهوات العالم لا بد أن تجتاحه موجات عاتية، فينحرف عن الطريق، ويضلّ في متاهات العالم.

+ الاتحاد بالله يروي ظمأ القلب، وتعطشه إلى اللامحدود واللامتناهي.

+الخادم الذي يعاني من الحروب الروحية، هو لا يخوض المعمعة وحده، بل الله يقف بجانبه وهو يعاني أو يتألم.

+ الشهادة للمسيح بأي طريقة هي ثمرة الإيمان الحي، الذي امتدت أصوله عميقًا في تربة القلب.

+ الملائكة تترنم بعظمة الدعوة المفتوحة لقبول الخطاة التائبين.

+ دعوة الله للخطاة بالتوبة هي دعوة حب نابعة من تعطفات أحشاء الله.

+ تقديم عمل محبة للآخرين يشعل لهيب المحبة لله في القلب، وبدونه يبقى القلب باردًا خاليًا من حرارة المحبة لله.

نِعمَـةُ التَّبَنِّـي عـندَ الآبـاءِ الأقبـاط

الشماس الإكليريكي/ مينا ملاك

مقدمة:

يقول الرسول بولس: **"مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بَارَكَنَا بِكُلِّ بَرَكَةٍ رُوحِيَّةٍ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ، كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا <u>لِلتَّبَنِّي</u> بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ"** (أف١: ٣-٥).

لم يكن اختيارُ القديس بولس لتعبيرِ التَّبَنِّي عفويًا، لقد أرادَ أنْ يُوضِّحَ أنَّ بنوَّتنا لله ليست بنوَّةً طبيعية، بل هي هبةٌ روحيةٌ يمنحُنا إياها الله. ولم يلجأ الله للتبنّي كحلٍّ أخيرٍ لمشكلةِ الإنسان، بل كانت عطيةُ التبنِّي في فكرِ اللهِ قبلَ خلقتنا. بل منذ الأزل، وهي ترتكزُ بالدرجةِ الأولى على محبةِ الله لنا في المسيح يسوع.

"سَبَقَ فعيَّنَنا للتَبَنّي".

ما هو المقصود بالتَّبَنِّي؟

البنوَّة في الله هي صِفةٌ أقنوميةٌ لله الكلمة، الابنُ الوحيد. والتبنّي هو أنْ ننالَ من المسيح شركةً في بنوَّتِهِ للآب، لأننا مدعوُّون بالأساس إلى شركةِ الابنِ الوحيد يسوع المسيح: **"أَمِينٌ هُوَ اللهُ الَّذِي بِهِ دُعِيتُمْ إِلَى شَرِكَةِ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا"** (١كو١: ٩).

ما الذي نُشارِك فيه الابنَ في التَّبَنّي؟

جوهرُ بنوَّةِ الابنِ الوحيد هو الحُبُّ البنوي الذي يُقدِّمُه أزليًا لأبيه: **«إني أحب أبي»** (يو١٤: ٣١). وجوهر التَّبَنّي هو الدخول في شركةِ هذا الحب. القديس يوحنا يشرح التبنّي والولادة من الله على أنهما دخول في هذا الحب: **«كلُّ مَن يُحبُّ فقد وُلِدَ مِن الله»** (١يو٤: ٧).

إذا كنتَ تُحبُّ فهذا دليلٌ أنك قد وُلدتَ مِن الله. لا يُمكن أنْ تُحبَّ حُبًا مُقدَّسًا صادقًا بدون أنْ تكون قد وُلدتَ مِن الله. إذا كنتَ لا تُحب فهذا دليلٌ أنَّ ولادتك من الله لم تكتمل بعد.

الحب هو طبيعة الله. أبسط تعريف لله هو **«الله محبة»** (١يو٤: ٧& ١٦).

لذلك فالله هو مصدرُ كلِّ حُبٍّ حقيقي. **"أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ. وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ"** (١يو٤: ٧

- ٨). **"اُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ الله..."** (١يو٣: ١).

أي انظروا كيفَ سكبَ الآبُ فينا مشاعرَ المحبة حتى نُدعى أولاد الله. هنا أيضًا المحبة التي تكون فينا من الله هي دليلُ الولادة من الله.

"فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللهِ كَأَوْلاَدٍ أَحِبَّاءَ، وَاسْلُكُوا فِي الْمَحَبَّةِ كَمَا أَحَبَّنَا الْمَسِيحُ أَيْضًا وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، قُرْبَانًا وَذَبِيحَةً للهِ رَائِحَةً طَيِّبَةً" (أف٥: ١-٢).

ما معنى هذه الآية؟ بدايتها «**كأولادٍ أحبَّاء**» تُوحي لنا أنَّ الآيةَ تَرمي إلى توضيح معنى التبنّي لله. ثم بقية الآية تُبيّن أنَّ التبنّي هو بالأساس مُشابَهة المسيح في تقديمِ نفسه لله عن حب «**قربانًا وذبيحة لله رائحة طيبة**».

إذن فالتبنّي في أعمق معانيه هو أنْ نُشاركَ الابنَ الوحيدَ في حُبِّهِ الكاملِ الذي يُقدِّمُه للآب.

نعمةُ التَّبَنِّي عندَ الآباءِ الأقباط:

أولاً: الأنبا أنطونيوس:

منظور الأنبا أنطونيوس عن الرب يسوع، ليس مُجرَّد رجلٍ يُمكن من جهة حياته الكاملة أنْ يكونَ بمثابةِ ذبيحة كفارة عن خطايا الآخرين؛ بل إنه الطبيبُ الإلهي الذي يشفي جراحَ البشرية. إنَّ الشفاءَ الذي يَراه ق. أنطونيوس في يسوع ليس عملًا من أعمالِ المُصالحةِ مع الله الذي يطلب ذبيحة، ولكنه طريقةٌ لتصالُح الإنسان مع أصله، أي مع "**جوهره الروحي**"؛ فيقول:

[أرجوكم أيها الإخوة افهموا هذا التدبير العظيم وهو: إنه صار مثلنا في كلّ شيءٍ ما عدا الخطية (عب٤: ١٥). ويجب على كل واحدٍ من الخلائق العاقلة التي جاءَ المُخلِّص أساسًا لأجلها، أنْ يفحصَ حياته وأنْ يعرفَ عقله وأنْ يُميّزَ بَين الخير والشر، لكيما يتحرَّر (يخلُص) بمجيء (يسوع) لأنَّ كثيرين تحرَّروا (خلَصوا) بتدبيره ودُعيوا خدام (عبيد) الله. إلَّا أنَّ هذا ليس هو الكمال بعد، وإنما في وقته الخاص كان هو البر، وهو يقودُ إلى **تَبَنِّي البنين**. وقد أعلنَ يسوع مخلِّصنا أنَّ (الرسل) كانوا مزمعين أنْ ينالوا روح التَّبنّي، وإنهم (الرسل) عرفوه لأنهم تعلَّموا بالروح القدس، ولذلك قال «**فيما بعد لا أدعوكم عبيدًا بل إخوةً وأصدقاءَ لأني أخبرتُكم بكل ما سمعتُه من أبي**» (يو١٥: ١٥). لذلك إذْ صارت لهم جرأةٌ في عقلهم، لأنهم عرفوا نفوسهم وجوهرهم العقلي (الروحي)، لذلك قالوا بصوتٍ واحدٍ إنْ كنا قد عرفناك حسب الجسد إلَّا إننا الآن لا نعرفك كما عرفناك (حسب الجسد)، بل نالوا روحَ التبنّي وصرخوا وقالوا «**إننا لم نأخذ روح العبودية أيضًا للخوف بل أخذنا روح التبني الذي به نصرخ يا أبا**

الآب» (رو٨: ١٥). لذلك الآن نحن نعرف يا الله أنك قد أعطيتَنا أنْ نكون أبناءً وورثةً لله ووارثون مع المسيح (رو٨: ١٧)]."[١]

ق. أنطونيوس لا يَعتَبر جوهرَ الإعلانِ الإلهي من خلال المسيح مقصورًا على استعادةِ الوحدةِ الأصلية والمعرفة فقط، بل بالأحرى هو عمل شركة، أي الشركة مع المسيح بالتبنّي كأبناءٍ لله.

ولكنَّ هذه الشركة غيرُ مُمكنةٍ ما دامَ الإنسانُ بعيدًا عن الله. يجب أولًا الاقتراب من خلال الفضيلة والمعرفة، حتى يتحكَّم في أهوائه ويعرف "**جوهره الروحاني**". وعندما يأخذ روح التبني لا يعود يخاف الله بل يفهم مِلءَ ما أخذه الرب يسوع من أبيه ويُعلِنه للإنسان، لا يُعرَف المسيح بحسبِ الجسد بل حسب الروح. فيقول:

[إنَّ كل مَن يخاف الله ويحفظ وصاياه فهو عبدٌ لله. وهذه الخدمة ليست هي الكمال بل فيها البر الذى يقود إلى التبنّى. ولهذا السبب فإنَّ الأنبياءَ والرسل، وهم الجماعة المقدَّسة الذين اختارهم الله وائتمنَهم على الكرازة الرسولية، أصبحوا بصلاح الله أسرَى للمسيح يسوع. لذلك يقول بولس «**بولس أسير يسوع المسيح المدعو رسولًا**» (أف١: ٣، رو١: ١). لذا فإنَّ الناموس المكتوب يعمل فينا بعبوديةٍ صالحة، إلى أنْ نُصبحَ قادرين على السيادةِ على كل شهوة. ونُصبح كاملين في الخدمة الصالحة للفضيلة من خلال هذا المستوى الرسولي.

لأنه إذا اقتربَ إنسانٌ مِن النعمة فإنَّ يسوع سيقول له «**سوف لا أدعوكم عبيدًا، بل أدعوكم أصدقائي وإخوتي لأنَّ كل الأشياء التي سمعتُها من أبي أخبرتُكم بها**» (يو١٥: ١٥). فإنَّ كلَّ الذين اقتربوا من النعمة وتعلَّموا من الروح القدس قد عَرفوا أنفسهم حسبَ **جوهرهم العقلى**. وفي معرفتهم لأنفسهم صرخوا قائلين: «**لأننا لم نأخذ روح العبودية للخوف ولكنْ روحَ التبنّي الذى به نصرخ يا أبا الآب**» (رو٨: ١٥) حتى نعرف ماذا أعطانا الله «**إذا كنا أبناء فإننا ورثة أيضًا، ورثة الله، ووارثون مع القديسين**» (رو٨: ١٧)].[٢]

ثانيًا: القديس أنبا مقار

[وأخيرًا أتى هو نفسه (المسيح) واحتملَ الموت مُستهينًا بخزي الصَّليب. وقد كان عملُه هذا كلُّه واجتهادُه لكي يَلِدَ من نفسه - أي من طبيعته - بنينًا من الروح القدس، إذ قد سُرَّ بأنْ يولَدوا من فوق،

---

[١] الأنبا أنطونيوس، رسائل القديس أنطونيوس، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، ٢٥.

[٢]. مرجع سابق، ٣٢.

من لاهوته. وكما أنَّ هؤلاءِ الآباء إذا لم يَلِدوا يشملُهم الحزن، هكذا الرَّبُّ أيضًا لأنَّه أحَبَّ جِنسِ البشرِ كصورته الخاصة، أرادَ أنْ يلدَهم من زَرْعِ لاهوته، فإنْ كان أُناسٌ لا يشاءون أنْ يأتوا إلى مثل هذا الميلاد ويولَدوا من رحمِ روح اللاهوت، يُلِمُّ بالمسيح حزنٌ بليغ، كَونَه تجشَّمَ الألَمَ من أجلهم وصبرَ لكي يُخلصهم].[٣]

هنا يؤكد أنبا مقار أنَّ نعمة التبنّي ليست مجرد لفظٍ لتحريكِ المشاعر، إنما هو واقعٌ حقيقيٌ باتحادنا بلاهوت المسيح يسوع، وهذا ما نؤكده في صلواتنا الليتورجيا حين نقول قي قِسمةِ القديس كيرلس:

[عند استحالة الخبز والخمر إلى جسدك ودمك، تتحوَّلُ نفوسُنا إلى مُشاركةِ مجدك، وتتَّحِدُ نفوسُنا بإلوهيَّتِك ...].

ونلتقي بإذن المسيح في الجزء الثاني من المقال لنتأمَّلَ في تعاليم آباءٍ آخرين من آبائنا الأقباط.

صلو اتكم.

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

كلمات روحية لبناء النفس (٢٨)

+ عملُ الخادم هو أن يمد يده لإنقاذ الغرقى في بحر العالم.

+ الإيمان بالمسيح تتجلى عظمته عندما يولد الإنسان جديدًا لملكوت الله في نور الحق.

+ الحياة الروحية تحتاج إلى يقظة قلب اليوم كله، نهاره وليله.

+ الكارز بالإنجيل يبشر الناس بحياة جديدة، ويدعوهم لكي يفتحوا قلوبهم لقبول دفق الحياة الإلهية في كيانهم.

+ قليل الاحتراس يعيش حياة مائعة، بلا جدية ولا رجولة.

+ المؤمن الحقيقي غريب يحن إلى وطنه الخالد.

+ الخطيئة تزعج الضمير وتقلق البال، وتؤلم النفس، وتؤذي الشعور.

+ انفتاح القلب للمسيح معناه حلول ملكوت الله فيه، أي أن المسيح يملك على القلب ويغمره بحرارة لهيب حبه.

+ الابتعاد عن طريق الله ماذا تكون نتيجته سوى الهبوط والنزول والانحدار؟!

---

[٣] القديس أنبا مقار، العظات الخمسون- العظة الثلاثون، ترجمة الراهب يونان المقاري، ٤٥٩.

المدارِسُ التفسيريَّةُ المسيحيَّة القديمة:

مُقارَنة منهجيَّة وتداعيات لاهوتيَّة (٢)

مدرسة الإسكندرية - التفسير الرمزي وأولوية الروح

الشماس الإكليريكي/ ميشيل عزت

نشأةُ المدرسةِ وأبرزُ أعلامها:

تُعَدُّ مدرسةُ الإسكندرية اللاهوتية، التي عُرفت باسم "ديدَسقاليون (Didascalion)"، أقدمَ مركزٍ للعلوم المقدسة في تاريخ المسيحية. لم يكن للمدرسة في بداياتها مبنًى خاصًا، بل كانت مُركَّزة في عُلمائِها، حيث كان الأستاذ يأخذُ تلاميذه في بَيتِه، وكانت بمثابة معهدٍ للدراسات المسيحية المتقدمة. لقد تأسَّسَت بهدفِ مواجهةِ العالَم اليوناني ليس بالعداوة، بل بجذبِ المثقَّفين والفلاسفة إلى المسيحية. من أبرز شخصياتها:

- **القديس كليمنضُس السكندري (حوالي ١٥٠ - ٢١٥ م.)** :يُعتَبَر أولَّ مَن استخدم التفسير الرمزي في كتاباته، وقد رأى أنَّ الإنجيلَ أخفى بعضَ المعاني لكي يَحُثَّ الناسَ على البحثِ عن كلمات الخلاص المخفيَّة.
- **العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤ م.):** تلميذ كليمنضُس، الذي أسَّسَ نظامًا ونظريَّةً متكاملةً للتفسير الرمزي، مما جعله أبرزَ ممثلي هذه المدرسة. بفضل منهجه، تقدَّمَ علمُ اللاهوت والتفسير الكتابي خطواتٍ واسعة، حيث ساعَدَ في إقامةِ صِلَةٍ خِصبَةٍ بين الفلسفة اليونانية والوحي الإلهي.

يقول دوم د. ريس عن المدرسة: "كانَ اهتمامُها منصَبًّا على دراسةِ الكتاب المقدس، وقد ارتبط اسمُها بالتفسير الكتابي، كان شغلُ هذه المدرسة التفسيريَّة الأول هو اكتشافُ المعنى الروحي فى كل موضعٍ وراءَ السطور فى الكتاب".

منهج التفسير الرمزي: الأُسُس والتطبيق:

تأثَّرَت مدرسةُ الإسكندرية بشكلٍ عميقٍ بالفلسفة اليونانية، خاصَّةً الأفلاطونية والفيثاغورية، واستلهمت منهجها الرمزي من الفيلسوف اليهودي فيلون السكندري، الذي كان يؤوِّلُ أسفار التوراة تأويلًا رمزيًا لتوفيق الدين مع الفلسفة. كان جوهرُ هذا المنهج هو أنَّ النَّصَّ الكتابي يحتوي على معنَيَين

رئيسيَّين: المعنى الحرفي أو الجسدي، والمعنى الروحي أو السرّي. يرى أوريجانوس أنَّ الكتابَ المقدَّس هو وِحدَةٌ واحدةٌ لا تتجزّأ، وأنَّ المعنى الحرفي هو مُجرَّد نُقطةِ انطلاق. كان هدفُ التفسير هو الوصول إلى المعنى الروحي الذي يقودُ إلى الحياة الروحية الحقيقية في عُمقِها.

كانت المدرسة تميلُ إلى التفسير الرمزي، مع التأكيد على أنَّ التفسيرَ الحرفي وحده لا يكفي، لأنه قد يُضلِّلُ القارئَ عن المعنى الروحي المقصود. كان أوريجانوس يرى أنَّ التفسيرَ الحرفي الذي اتبعه اليهود في العهد القديم هو ما مَنَعَهُم من رؤيةِ المسيح الذي كان "مخفيًا تحتَ النَّصِّ الحرفي". كانت المدرسة تُفسِّرُ الأحداث والشخصيات في العهد القديم على أنها "رموز" لأمورٍ روحية في العهد الجديد. من الأمثلة على ذلك، تفسير إكليل الشوك على رأس المسيح بأنه يرمز إلى الجماعات الوثنية التي ستؤمن به، وتفسير اسم "سيحون ملك الأموريين" (شجرة عقيمة) بأنه يرمز للشيطان. وقد أشارَ أوريجانوس إلى أنَّ المعنى الرمزي هو "رحيق النحلة" الذي يدخل إليه الروح القدس بالإنسان إلى أعماق النَّصّ. كما كان يرى أنَّ الله ليس لديه أعضاء بشرية مثل الأيدي أو العيون، بل هذه صفات إنسانية تُستخدم لمساعدتنا على فهمه.

التداعيات اللاهوتية: نقاطُ القوة ومواطنُ الخَطَر

كان المنهجُ الرمزي أداةً قويةً في مواجهةِ الهرطقاتِ الغنوصية واليهودية، وفي إثبات استمرارية الوحي الإلهي من العهد القديم إلى العهد الجديد. كما أنه عزَّزَ لاهوتَ التجسُّد وركَّزَ على الطبيعة الإلهية للمسيح، معتبرًا أنَّ نقطة بدايته في التفسير هي آية **"والكلمة صار جسدًا"** (يو١: ١٤). وقد تميَّزَتِ المدرسة بتعليمها المُتكامِل الذي لم يَفصِل بين المعرفة اللاهوتية والحياة الكنسية والمُمارَسَة النُّسكيَّة والعملِ الكرازي.

ومع ذلك، فإنَّ الإفراطَ في هذا المنهج أدَّى إلى نتائجَ عقيدية خطيرة. فالتأثُّر بالأفلاطونية، التي تُعلي من شأنِ الروح على المادة، أدَّى إلى التركيز المبالَغ فيه على لاهوت المسيح (الروحي) على حساب ناسوته (المادي)، مما فتحَ البابَ أمام هرطقاتٍ مثل **الأبوليناريَّة والأوطاخيَّة**. علَّمَت الأبوليناريةُ أنَّ المسيح ليس له نفسٌ بشرية، بينما علَّمَت الأوطاخيَّة أنَّ طبيعته الإنسانية "انحلَّت" في طبيعته الإلهية كقطرة عسل في بحر، مما يؤدي إلى وجود طبيعة واحدة مُركَّبَة. كما أنَّ أوريجانوس نفسه قَدَّمَ أفكارًا مُثيرةً للجَدَلِ مثل وجود النفوس قبل الأجساد وسلامة كل الخليقة في النهاية، بما في ذلك الشيطان، وهو ما أثارَ بلبلةً شديدةً في الكنيسة.

هل كان لله عِلَّةِ العِلَلِ عِلَّةْ خارجًا عنه في حركة الحَبَلِ به؟

للمُعلِّم فَرَجِ بن جرجس بن إفرايم اليعقوبي (ق ١٠م)

عن مخطوط الدار البطريركية رقم ٢٧٣ عمومية/ ٨٣ لاهوت

إسحاق إبراهيم الباجوشي

مقدمة:

هذا **النص يُعبِّر** عن **صيغةٍ موجزةٍ ودقيقةٍ** للاعتراض الفلسفي واللاهوتي الخاص بولادة السيد المسيح، **الله الكلمة**، من أُمِّهِ العذراء البتول **كُلِّيَةِ الطُّهر، مرتمريم**. وربما **أُخِذَت** هذه المسألة وجوابها من نَصٍّ أطولِ وتمَّ اختصاره لهذا **المؤلّف**.

وتحتوي المسألةُ على مُقَدِّماتٍ منطقية وَرَدَت عند الفلاسفة المسيحيين في جِدالِهم مع **المُتكلّمين** (علماء الكلام) المسلمين، وسبقَ أنْ وَرَدَت في المَنطقِ اليوناني الأرُسطي، وهي:

١. **"إنَّ اللهَ البارئَ تعالى جَلَّ اسمُهُ وتقدَّسَت أسماؤه هو عِلَّةُ العِلَل".**

٢. **"إنَّ كلَّ مُتحرِّكٍ فَلَهُ مُحرِّكٌ هو عِلَّةُ حركتِه".**

شُكِّل الاعتراض والمسألة على اعتقادنا (اعتقاد المسيحيين جميعًا) أنَّ **عِلَّةَ العِلَل)** البارئ/الخالق/الابن الوحيد **الكلمة) حَلَّ** في العذراء البتول (أي **تجسَّدَ**)، وتَحَدَّدَت مدةُ مَقامِهِ في بطنها **بتسعةِ أشهر.**

هذا الحلول في الأحشاء **ومَعمَل** الاتحاد (أي اتحاد الله الكلمة الابن الوحيد بالناسوت)، والتحديد الزمني للحَبَل، **يُوجِبُ** على البارئ **حركةً إلى المكان** (أي البطن) **وحركةً من المكان** (أي الخروج منه).

لذا، وَرَدَت نتيجةٌ **مُلزِمةٌ بُنِيَت** على هذه المُقدِّمات؛ بما أنَّه تحرَّكَ، وبما أنَّ **"كل متحركٍ فلهُ مُحرِّكٌ"**، فقد جَعَلوا **لِعِلَّةِ العِلَلِ عِلَّةً** هو بها **معلولٌ** (وهي عِلَّةُ حَرَكتِه). وصار الاعتراضُ: **كيف ينزل الله ليتجسد؟** وهذا في تصورهم وفكرهم (**المتكلّمين** والمعترضين) تناقُضٌ بين فرضية أنه **"عِلَّةُ العِلَل"**، وأنه صار **معلولًا لِعِلَّةٍ (المُحرِّك)**.

جاءَ الجوابُ ليوضِّحَ بالرَّدِّ اللاهوتي والقياس العقلي، وبحسب المنهج **المُتَّبَع** من كثير من الفلاسفة المسيحيين في الرد على الاعتراضات، **بنفيِ حركةِ المكانِ عن الذات الإلهية أولًا، وبالقياس العقلي بالعلِّيَّة الروحانية.**

وأنَّ البارئ تعالى أعلى من كل مثال (كما نقول في تسبحة كيهك). وعلى الرغم من ذلك، تُستخدَمُ الأمثلة والقياس للتقريب للفَهم البشري القاصر عن الفَهم، مع الأخذِ في الاعتبار **"أنَّ الأمثلة لا تُقاسُ بالذات الإلهية، بل هي أقربُ ما يكون إلى الوَهْم"**. فيتخذ الكاتبُ مِثالَ الشمس **والمِرآة الهِندُونيَّة.**

الرد على حركة المكان:

النص ينفي أنَّ التَجَسُّدَ كان بـ "حركة" كما ظنَّ السائل، ويُقرُّ بأنَّ البارئَ غيرَ محدودٍ ولا تُوقَعُ عليه حَرَكَةٌ، إذ وَرَدَ به: فَتَجَسَّدَ مِنْها بِجَسَدٍ كامِلٍ، لا بِحَرَكَةٍ كما ظَنَّ السائلُ؛ لأَنَّنا نَعْتَقِدُ ضِدَّ ذلكَ، ونُقِرُّونَعْتَرِفُ أَنَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى غيرُ مَحْدُودٍ، ولا يُحَدُّ لهُ حَرَكَةٌ".

وأنَّ الحلولَ كان بـ "اتحادٍ يفوقُ العقل"، كما ورد: حَلَّ في العَذْراءِ مِن غيرِ اِنتِقَاصٍ لِعِذْرَتِهَا، ووُلِدَ مِنها كذلكَ... بل اِتَّحَدَ اِتِّحَاداً يَفُوْقُ العَقْلَ"، اتحادًا سريًا لا يُنطَق به.

أمَّا عن القياس العقلي (النفي بالعِلِّيَة الروحانية):

يستخدمُ الكاتبُ **مِثالَ الشمس والمِرآة الهِندُونيَّة** كنظيرٍ لغَرَضِ التقريب الذهني كما ورد: "وهو كَمَثَلِ الشمسِ التي في الفَلَكِ الرابعِ ..."، ويُشيرُ كما ذكرنا أنَّ هذه الحجة **(أي** الشمس والمرآة) لا تُقاسُ بالذات الإلهية، بل هي أقرب ما يكون إلى الوَهم، **تشخَصُ في المِرآة** (تَحِلُّ فيها) وتفعل فيها أفعالًا (إحراق الأشياء)، **بغيرِ حركةٍ** منها ولا هبوطٍ من الفَلَكِ الرابع إلى الأرض.

التطبيق على التجسُّد:

إذا كانت الشمس، وهي جسمٌ ماديّ، تحلُّ في المِرآة وتُحْدِثُ فيها تغييرًا (أفعالًا) دون أنْ تتحرَّك هي مِن مكانها أو تستحيل حالها، فَمِن بابٍ أولى الذاتُ الإلهيَّة غير المحدودة تحلُّ في العذراء وتتجسَّد منها **دونَ أنْ يَدخل عليها حركةٌ أو استحالةٌ من حالٍ إلى حال**، وبذلك يكون **الحُلولُ والاتحاد اللاهوتي:** الذي هو اتحاد إقنومي، يفوق العقل، ولا يوجِبُ تغييرًا أو انتقاصًا أو حركةً على **الذات الإلهية**، وفي الجواب يؤكِّدُ أنَّ إثباتَ الحركةِ على الذاتِ الإلهية في مسألةِ التجسُّد هو قياسٌ للغائب (اللاهوت) على الشاهد (الأجسام)، وهو قياسٌ باطلٌ عند المسيحيين، وخاصةً اليعاقِبةُ (الأرثوذكسيون)، واعتقادُنا القويم أصحاب الطبيعة الواحدة Miaphysitism **لله الكلمة المتجسد كقولِ القديس كيرلس السكندري، وليس كما يُلقِبُنا البعضُ جهلًا بأصحابِ الطبيعة الوحيدة**

Monophysitism (أي الأوطاخية)، **وهذا ما وَضَحَ في النَّصِّ في أمرَين:**

وِحدةُ الطبيعةِ بعدَ الاتحاد:

يُركِّزُ النصُّ على أنَّ اللاهوت والناسوت (الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية) قد اتّحدتا ليُكوِّنا **طبيعةً واحدةً إذْ يذكُر: "فصارت طبيعةُ اللاهوتِ وطبيعةُ الناسوتِ بذلكَ الاتحادِ طبيعةً واحدةً متقوّمةً من طبيعةِ الاثنينِ"**، ولكنه يؤكد في الوقت نفسه أنَّ هذا الاتحاد كان **"من غيرِ أنْ يستحيلَ كلُّ واحدٍ منها عن ذاتِهِ"**.

الاتحاد اللا انفصالي:

يُصرُّ الكاتب على أنَّ هذا الاتحاد كان **"يفوقُ العَقل"** ونتجَ عنه **"أُقنُومٌ** [١] **واحدٌ، وفِعلٌ واحدٌ، وإرادةٌ واحدةٌ، بِطبيعةٍ واحدةٍ ومَشيئةٍ واحدةٍ"**. هذا التركيز على الوِحدةِ الكاملةِ هو السِّمَةُ المُمَيِّزَة للّاهوت الأرثوذكسي للقبط والسريان لضمان أنَّ المسيحَ هو الإلهُ المتجسِّدُ كاملًا.

التمييز بين العِلَلِ عندَ اللاهوتيين والفلاسفة:

يقوم الكاتبُ بالتمييز بين طريقتَين لفهم "عِلَّةِ العِلَل" ويذكر أنَّ **الفلاسفة الجسدانيين** يقصدون بِعِلَّةِ العِلَل عِلَّةً مع المُحدَثَات (عِلَّةٌ أولى مرتبطة بالخلق المادي)، **بينما المعلمون الروحانيون** يقصدون بِعِلَّةِ العِلَلِ الآبَ: عِلَّةُ الابنِ والروحِ القدسِ وإثبات أنها عِلّيَةٍ جوهرية أزلية، والعِلّيَة وتأثيرها عند الجسدانيين عِلّيَة مادية (يَلزَمُها الحركة والمكان)، أما عند اللاهوتيين الروحانيين فهي: عِلّيَة أزلية جوهرية (الآب غير معلول بالابن، والابن والروح معلولان بالآب)، مع الأخذ في الاعتبار وِحدَة الجوهر والأزلية والكرامة، وأنه لَم يكن هناك وقتٌ لم يكن للآب ابنٌ وإلّا قد سَقَطنا في خطإٍ وخروجٍ عن الإيمان أنَّ هناك وقتٌ لم يكن الآبُ موجودًا إذ لا وجودَ للآبِ دونَ ابنٍ ولا وجودَ لكليهما دونَ وجودِ الروحِ القدس، فالثلاثة أقانيم جوهرٌ واحدٌ وإلهٌ واحد، كما يذكر القديس أثناسيوس الرسولي في رَدِّهِ على الأريوسيين.

واستخدمَ الكاتبُ القياسَ كالآتي: الشمس (كعِلَّةٍ فعَّالة)، والمِرآة الهِندُونيّة (كَمَحَلٍّ للانعكاس والفعل). ووَجهُ الاستدلال: الشمس "تَشْخُصُ" في المِرآة وتُحْرِقُ بها الأشياء "بِغَيْرِ حَرَكَةٍ منها ولا هُبُوطِها"، كما أنَّ المِرآةَ لَم "تَستحِل فتصيرَ شمسًا"، وخَلُصَ إلى النتيجة الآتية: إذا كان الجسمُ الماديُّ يُمكنه أنْ يَحِلَّ ويفعل دونَ حركةٍ مكانية، فبالحري الألوهية (اللاهوت) تحلُّ وتتجسَّد في العذراء (الناسوت) بأولى وأكمَل دونَ أنْ تلزمها حركةٌ أو استحالة.

---

[١] أقنوم: كلمة سريانية ܩܢܘܡܐ (Qnoma)، وتُقابل اليونانية ὑπόστᾰσις (Hypostasis)

الكاتب: **فرج ابن جرجس بن أفرايم اليعقوبي**:

هو أحَدُ الكُتَّاب المجهولين، ولم يَرِد عنه في كُتبِ التراجم، فلم يَرِد عند ابنِ كَبَر بين الكُتَّابِ القِبطِ أو السريان اليعاقبة، ويُعَدُّ واحدًا من الكُتَّابِ المسيحيين الذين برزوا في العصور الوسطى، وتحديدًا في الفترة التي ازدهرَ فيها **عِلمُ الكلام والفلسفة** في العالَم الإسلامي، مِمَّا أدَّى إلى حواراتٍ ومناظراتٍ لاهوتية وفلسفية مُتعمِّقةٍ بين المسلمين والمسيحيين، ويُرَجَّحُ أنه نَبَغَ في أواخرِ القَرنِ العاشر وبداياتِ القَرنِ الحادي عشر الميلادي، إذْ وَرَدَ ذكرُهُ مقالٌ للكاتب يحيَى بن عِدَيّ التكريتي المُتَوفَّى في (٩٧٤م)، وَرَدَ عنوانُها كالآتي: "**إيضاحٌ في التوحيدِ مِمَّا أملاه عنه فرجُ بن جرجسِ بن أفرايم اليعقوبي، في مبادئ الموجودات ومراتب قواها**"، **وأوردها** الأبُ سمير خليل اليسوعي في كتابه عن "مقالة في التوحيد" ليحيى بن عِدَيّ في المؤلَّف رقم (١١٣)، ولم يَرِد هذا الكاتب ضمن تلامذة ابن عِدَي عند المؤرخين، لذا يُرجَّحُ أنَّ في زمنٍ لاحقٍ لابن عِدَي وإنْ كانَ من خلال إملاء هذه المقالة يُعتَبَر من مُعاصريه أو ربما نَقَلَ بعضَ مؤلفاتِهِ أو نَسَخَها وشَرَحَها.

السياق التاريخي وعصره: **هذه الفترة كانت تتَّسِمُ بما يلي**:

شَهِدَت هذه الحِقبة **ازدهارَ التَرجمة والحوار**: كانت بَغداد ومراكز الحضارة الإسلامية تشهدُ قِمَّةَ حركةِ الترجمة من اليونانية والسريانية إلى العربية. وقد شاركَ السريانُ بفعالية في نقلِ الفلسفة اليونانية (خاصة فلسفة أرسطو) إلى العربية.

كما شهدت تفاعلًا لاهوتيًا وفلسفيًا: ظهرت الحاجة المُلِحَّة للمسيحيين لصياغةِ عقائدِهم بالعربية باستخدام مصطلحات الفلسفة وعِلمِ الكلامِ الإسلامي (مثل: العِلَّةِ والمعلول، والحركة، والجوهر، والعَرَض).

وكثُرَت المناظراتُ حولَ التجسُّد: إذْ كان التجسُّدُ (حلولُ الكلمةِ في المسيح) وهي من أكثر النِقاطِ التي يُركزُ عليها الفلاسفة والمتكلمون المسلمون في نقدهم للمسيحية، وهذا النص هو رَدٌّ مُباشِرٌ على أحدِ اعتراضاتهم المتعلقة بـ **حركة الله ومعلوليته.**

مخطوط النص:

مخطوط القاهرة مكتبة الدار البطريركية القبطية رقم ٢٧٣ عمومية/ ٨٣ لاهوت، تاريخ نساخته ٣ بؤونة سنة ١١٦٨ هلالية، يوافق ذلك يومَ الأحدِ ٢٨ شعبان ذات السنة في ٣ بؤونة ١٤٧١ش (الأحد ٨ يونيو ١٧٥٥م)، عدد أوراقه ٢٤٥ورقة، للناسخ الشماس داود ابن رزق الله من أهالي ناحية أم خنان (بالجيزة)، وأهتم به المُعلِّمان جرجس أبو جوهري وأخوه المعلم إبراهيم الجوهري أبو يوسف، ثم تَمَّ

وقفُه على الدارِ البطريركية في عهدِ البابا بطرس السابع المعروف بالجاولي البطريرك (١٠٩) في ٢٣ طوبة ١٥٣٠ش الموافق يوم الأحد ٣٠ يناير ١٨١٤م، بالورقات ١١١ظ- ١١٣ظ. (أقَدِّمُ الشكرَ للمهندس رفيق عادل الذي أمَدَّني بنُسخةٍ رقميَّةٍ من هذا المخطوط).

النص:

١. مَسألَةٌ وجوابُها.

٢. **إذا كانَ كُلُّ مُتَحَرِّكٍ فلَهُ مُحَرِّكٌ هوَ عِلَّةُ حَرَكَتِهِ، وكانتِ المُحْدَثَاتُ مَعْلُولَاتٍ؛ منها ما هوَ مَعْلُولٌ منها، ومِنها ما هوَ مَعْلُولٌ بِشَيءٍ آخَرَ هوَ خَارِجٌ عَنها. وكانَ البارِئُ تَعَالَى هوَ عِلَّةَ العِلَلِ، فَوَجَبَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تكونَ العِلَلُ التي المَعْلُولَاتُ بها مَعْلُولَاتٌ بِهِ مَعْلُولَاتٍ.**

٣. **ووَجَدْنَا النَّصَارَى يَعْتَقِدُونَ أَنَّ عِلَّةَ العِلَلِ حَلَّ فِي اِمْرَأَةٍ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ حَالًّا فِيهَا، وحَدَّدُوا مُدَّةَ مَقَامِهِ فِيهَا تِسْعَةَ أَشْهُرٍ .فقَدْ أَوْجَبُوا عَلَيْهِ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ حَرَكَةً إِلَى المكَانِ -أَعْنِي البَطْنَ -التي لَمْ يَكُنْ فِيهَا ثُمَّ كَانَ، وحَرَكَةً مِنَ المكَانِ -أَعْنِي خُرُوجَهُ مِنَ البَطْنِ .- وقدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَولِنَا أَنَّ كُلَّ مُتَحَرِّكٍ فلَهُ مُحَرِّكٌ، فَإِذا كانَ ذَلِكَ كذلكَ فقَدْ جَعَلُوا لِعِلَّةِ العِلَلِ عِلَّةً هوَ بِها مَعْلُولٌ؛ لِأَنَّهُ مُتَحَرِّكٌ، وهيَ عِلَّةُ حَرَكَتِهِ.**

٤. الجوابُ عن فَرَجِ بنِ جُرْجُسَ بنِ أَفرايمَ اليعقوبيّ

٥. **أَمَّا ما ذَكَرْتَهُ مِن الحَرَكَاتِ، وأَنَّ كلَّ مُتَحَرِّكٍ فَلَهُ مُحَرِّكٌ، فلا يَحْتَاجُ إلى بُرْهَانٍ لِصِحَّتِهِ. وأَمَّا ما قُلْتَهُ مِن أَنَّ النَّصَارَى يَعْتَقِدُونَ أَنَّ عِلَّةَ العِلَلِ تَجَسَّمَ مِن اِمرأةٍ، فهو شِبْهُ اعتقادِهم، وأَمَّا جُمْلَتُهُ فلا.**

٦. **وذلك أَنَّ الفلاسِفَةَ الجَسَدَانِيِّينَ سَمَّوْهُ عَلَّةَ العِلَلِ على أَنَّهُ عَلَّةٌ مع المُحْدَثَاتِ. والمُعَلِّمِونَ الرُّوحَانِيِّونَ سَمَّوهُ عَلَّةَ العِلَلِ، لا على أَنَّهُ عَلَّةُ المُحْدَثَاتِ، أعني: المُحْدَثَاتِ المُكَوَّنَاتِ مِن غيرِ ذاتِهِ. وذلك قولُ الجسدانِيِّينَ.**

٧. **فأَمَّا الرُّوحَانِيُّونَ، فإنَّهم قالُوا: إنَّهُ عَلَّةٌ؛ يَعْنُونَ الآبَ؛ أَنَّهُ عِلَّةُ الابنِ والرُّوحِ القُدُسِ، و أَنَّهُ غيرُ مَعْلُولٍ بهما، وأَنَّهما به مَعْلُولانِ، و أَنَّهُ لم يَتَقَدَّمْ ذَاتُهُ ذَاتَهُمَا، وأَنَّ ذَاتَهُمَا مِن ذاتِهِ. ومِثلُ ذلك مَوْجُودٌ في الأَجْسَامِ؛ لأَنَّ النَّارَ عِلَّةُ الضَّوْءِ، والضَّوْءَ مَعْلُولٌ بالنارِ، وليسَ النارُ مَعْلُولَةً بالضَّوءِ، وكلٌّ منهما لا يَتَقَدَّمُ صاحِبَهُ؛ سواءٌ أَنَّهُما عالٌّ ومَعْلُولٌ. وكذلكَ الشمسُ مع النهارِ، فإنَّ الشمسَ عِلَّةُ النهارِ، والنهارَ مَعْلُولٌ بالشمسِ. وإذا وُجِدَ أَحَدُهُما وُجِدَ الآخَرُ، لا يَتَقَدَّمُ أَحَدُهُما صاحِبَهُ.**

٨. **وإذا كانَ ذلك كذلكَ، فقد صَحَّ قولُ آبائِنا الرُّوحانِيِّينَ، وبَطَلَ قولُ الفلاسِفَةِ الجَسَدَانِيِّينَ؛ لأَنَّ قولَنا إنَّ البارئَ جَلَّ وعَزَّ وَحْدَهُ الأزليُّ، وهو المُتَقَدِّمُ للمخلوقاتِ قَدَمَةً وَهْمِيَّةً**

عَقْلِيَّةً لا مَحْدُودَةً حِسِّيَّةً، وأنَّ الابنَ الذي هو عِلَّةُ المُحْدَثَاتِ، الذي الآبُ عِلَّتُهُ وحدَهُ، كما قَدَّمْنَا: أنَّهُ -أَعْنِي الآبَ- لا يَتَقَدَّمُ الابنَ بِزَمَانٍ ولا بما يَقُومُ مَقامَ الزَّمَانِ، لا وَهْمِيًّا ولا عَقْلِيًّا ولا حِسِّيًّا؛ شَاءَ تَبَارَكَ وتَعَالَى -أَعْنِي الابنَ- بالمَشِيئَةِ الوَاحِدِ المُتَّفِقَةِ، لِسَبَبٍ ليسَ هذا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ، أَنْ يَتَجَسَّدَ مِن هذهِ العَذْرَاءِ الطَّاهِرَةِ، فَتَجَسَّدَ مِنْها بِجَسَدٍ كَامِلٍ، لا بِحَرَكَةٍ كما ظَنَّ السائلُ.

٩. لأَنَّنا نَعْتَقِدُ ضِدَّ ذلكَ، ونُقِرُّ ونَعْتَرِفُ أَنَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى غيرُ مَحْدُودٍ، ولا يُحَدُّ لهُ حَرَكَةٌ، ولا نُوْقِعُها عليهِ، بل كما يُمَثَّلُ ذلكَ بما يَقْرُبُ مِن وَهْمِنَا، لأَنَّ الملائكةَ الرُّوحَانِيِّينَ والشَّارُوبِيمَ لا يَقْدِرُونَ على كُنْهِ ذلكَ، لا على حَدِّهِ ولا خَلِيقَتِهِ.

١٠. وهو كَمَثَلِ الشمسِ التي في الفَلَكِ الرابعِ: إذا ما أَخَذَ الإنسانُ بيَدِهِ إذا ما أَخَذَ الإنسانُ بيَدِهِ مِرْآةً مِن الهِنْدُونِيِّ[٢] في وَقْتِ الصَّيْفِ، يُجَارِي بها الشمسَ، فإنَّ الشمسَ تَشْخُصُ في تِلكَ المِرْآةِ كامِلَةً، وتَفْعَلُ فيها أَفْعَالاً هيَ لها في ذاتِها، مِثلُ إحْرَاقِهَا الأشياءَ القابِلَةَ الإحْرَاقِ، ومَنْعِهَا لِبَصَرِ الإنسانِ مِن التَّمَكُّنِ مِن تَأَمُّلِهَا؛ بِغَيْرِ حَرَكَةٍ مِنْها، ولا هُبُوطِهَا مِن الفَلَكِ الرَّابعِ إلى الأَرْضِ، ولا حَرَكَةٍ إلى المكانِ، ويُزِيلُها أَعْيُنُ المِرْآةِ فَتَرْتَفِعُ الشَّمْسُ مِنْها مِن غيرِ حَرَكَةٍ مِن المكانِ.

١١. فإذا كانَ ذلكَ كذلكَ، فقد بَطَلَ قولُ مُخَالِفِنَا في الإدِّعَاءِ علينا بأَنْ نُوْجِبَ على البارئِ سبحانَهُ حَرَكَةً، ونَجْعَلَهُ مَعْلُولاً، وبَانَ رَأْيُنَا مِن ذلكَ، ووُضِعَ مَحْضُ اِعتِقَادِنَا، وظهرَ صِدْقُ قَوْلِنَا مِن أَنَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى حَلَّ في العَذْرَاءِ مِن غيرِ انتِقَاصٍ لِعِذْرَتِهَا، ووُلِدَ مِنها كذلكَ، و أَنَّهُ هو الإلَهُ الأَزَلِيُّ، حَاوِي كُلِّ شَيءٍ، مِن غيرِ حَرَكَةٍ دَخَلَتْ عليهِ، ولا اِسْتِحَالَةٍ مِن حالٍ إلى حالٍ، كما أَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَسْتَحِلِ مِرْآةً، ولا أَيضًا الجسمُ الذي تَجَسَّمَهُ لم تَسْتَحِل عن حَالِ الإنْسَانِيَّةِ فَيَصِيرَ له تَنْ، كما أَنَّ المِرآةَ لَمْ تَسْتَحِلَّ فَتَصِيرَ شَمْسًا، بل اِتَّحَدَ اِتِّحَادًا يَفُوْقُ العَقْلَ، فصَارَتْ طَبِيعَةُ اللاَّهُوْتِ وطَبِيعَةُ النَّاسُوْتِ بذلكَ الاِتِّحَادِ طَبِيعَةً واحدةً، مُتَقَوِّمَةً مِن طَبِيعَةِ الاِثْنَيْنِ، مِن غيرِ أَنْ تَسْتَحِيْلَ كُلُّ وَاحِدةٍ مِنْها عن ذاتِهِ، بل كلٌّ مِنْها حَافِظٌ لِمَا هوَ لهُ، وصَارَ بالاِتِّحَادِ أُقْنُومًا وَاحِدًا، وفِعلًا واحدًا، وإرادَةً واحدةً، بِطَبِيعَةٍ وَاحِدَةٍ ومَشِيئَةٍ وَاحِدَةٍ.

فهذا ما بَلَغَهُ عَقْلُنَا وأَدْرَكَهُ فَهْمُنَا، فإنْ كانَ صَوَابًا فَمِنَ اللهِ سُبْحانَهُ، وبِجُهْدِ آبَائِنَا المُتَقَدِّمِينَ أَهْلِ العِلْمِ والفَضْلِ بالحَقِيقةِ، وإن كانَ خَطَأً فَعِلْمُنَا دُوْنَهُمْ. والحمدُ للهِ وَلِيِّ التَّوْفِيْقِ الجَوَّادِ القَدِيرِ العَزِيْزِ الرَّحِيْمِ، وهو حَسْبِي كافيًا ومُعِينًا. آمين.

---

[٢] **الهِنْدُونِيّ:** نوعٌ من المَعَادن أو السَّبَائِك غالبًا من الفولاذِ الهندي عالي الجودة أو سبيكة من النحاس والقصدير التي كانت تُصنَعُ منها المَرَايا الفولاذية عالية اللَمَعانِ والقدرة على الانعكاس وتركيز أشعة الشمس (على غِرارِ المرايا الحارقة).

اللغة اليونانية (٨)

§٨-١: الفعل في زمن المضارع المبني للمعلوم

دكتور/ جرجس بشرى

يُصرَّف الفعلُ في زمن المضارع المبني للمعلوم مثل تصريف فعل **πιστεύω** "أؤمن، أُصدِّق، أثق في"، على النحو التالي:

جدول (١٢): تصريف فعل πιστεύω في زمن المضارع

الشخص	Sing. مفرد		Pl. جمع	
المتكلم	πιστεύω	أؤمن	πιστεύομεν	نؤمن
المخاطب	πιστεύεις	تؤمن	πιστεύετε	تؤمنون
الغائب	πιστεύει	يؤمن	πιστεύουσι أو πιστεύουσιν	يؤمنون

من خلال الجدول السابق نلاحظ ما يلي:

١- تتغيَّر نهاية الفعل وفقًا لمن يقوم بالحدث (متكلم، مخاطب، غائب)، والعدد (مفرد، جمع) على النحو التالي:

- الشخص الأول (المتكلم First Person)، مثل: "أنا أؤمن – نحن نؤمن".
- الشخص الثاني (المخاطب Second Person)، مثل: "أنتَ تؤمن/ أنتِ تؤمنين – أنتم تؤمنون / أنتنَّ تؤمنَّ".
- الشخص الثالث (الغائب Third Person)، مثل: "هو يؤمن/ هي تُؤمن – هم يؤمنون/هُنَّ يُؤمنَّ".

٢- ولا يوجد تمييز بين المذكر والمؤنث في نهايات الفعل، ولكن يمكن معرفة ذلك من خلال السياق.

٣- لا يوجد نهاية مُحدَّدة للمُثنى، ولكن يتم استخدام الجمع للتعبير عن المثنى.

٤- نهاية الغائب الجمع (**-ουσι**) أو (**-ουσιν**).

٥- تُطبق النهايات السابقة على الأفعال التي تنتهي بحرف (**-ω**) كما في المفردات التالية:

مفـــــردات

πιστεύω	أؤمن
λέγω	أقول، أتكلم
ἔχω	أملك، لديَّ
δοξάζω	أَمَجِّد
καταγγέλλω	أَبشِّر، أعلن
πέμπω	أرسل
ἀναπέμπω	أرسل لفوق
ὑπάρχω	أوجد، أكون
τίκτω	ألد
προσάγω	أقدِّم
ἀκούω	أسمع
μεγαλύνω	أُعظِّم، أمدح، أُمجِّد

أمثلة:

1- **ἔχομεν** πρὸς τὸν Κύριον.

- **لدينا** [قلوبنا شاخصة] نحو الرب.

2- Ἀμὴν, ἀμὴν, ἀμήν, τὸν θάνατόν σου Κύριε **καταγγέλλομεν.**

- آمين آمين آمين، بموتك يا رب **نبشر.**

3- μετὰ τῶν Χερουβὶμ τὸν ὕμνον **ἀναπέμπομεν.**

- **نرسل** التسبيح مع الشاروبيم.

4- ἡ παρθένος σήμερον τὸν ὑπερούσιον **τίκτει.**

- اليوم **تلد** البتول الفائق الجوهر.

5- καὶ ἡ γῆ τὸ σπήλαιον τῷ ἀπροσίτῳ **προσάγει.**

- والأرض **تُقدِّم** المغارة لغير المُقتَرَب إلَيه.

6- τὴν ὄντως θεοτόκον, σὲ **μεγαλύνομεν.**

- فأنتِ حقًا والدةُ الإله، **نُعظِّمُكِ.**

§٨-٢: الأفعال المُدغَمَة في زمن المضارع المبني للمعلوم

الأفعال التي ينتهي جذعها بأحد الحروف المتحركة **(α, ε, ο)**، تُدغم هذه الحروف مع نهايات الفعل في زمن المضارع، ويتضح ذلك من تصريف فعل **εὐλογέω** "أُبارك" في الجدول التالي:

جدول (١٣): تصريف فعل εὐλογέω في زمن المضارع

تصريف فعل εὐλογέω	بعد الإدغام	قبل الإدغام	الشخص والعدد
εὐλογ**ῶ**	**-ῶ**	**έ + ω**	**المُتكلِّم المُفـــرَد**
εὐλογ**εῖς**	**-εῖς**	**έ + εις**	**المُخاطَب المُفرَد**
εὐλογ**εῖ**	**-εῖ**	**έ + ει**	**الغائب المفـــرد**
εὐλογ**οῦμεν**	**-οῦμεν**	**έ + ομεν**	**المُتكلِّم الجمـــع**
εὐλογ**εῖτε**	**-εῖτε**	**έ + ετε**	**المُخاطَب الجمع**
εὐλογ**οῦσι**	**-οῦσι**	**έ + ουσι**	**الغائب الجمـــع**

يتضح من الجدول السابق أنَّ نهايات زمن المضارع المدغم **(εὐλογέω)** تتميّز

عن نهايات زمن المضارع غير المُدغَم بإضافة نبرة البريسبوميني لأول حرف في النهايات، مع تغيير نهايات الجمع المتكلم والمُخاطَب إلى **(-οῦμεν; εῖτε)** بدلًا من **(-ομεν; ετε)**، وتُطبق النهايات السابقة على كل الأفعال التي ينتهي جذعُها بحرف **(-ε)**، كما في المفردات التالية:

مفـــــردات

ὁμολογέω	أعترف، أشكر، أتعهَّد
αἰνέω	أَسبِّح، أَمجِّد، أمدح
ὑμνέω	أَسبِّح
εὐχαριστέω	أشكر
δοξολογέω	أَمَجِّد
ὁδοιπορέω	أسير، أرحل، أسافر، أكون على الطريق

أمثلة:

1- πιστεύομεν καὶ **ὁμολογοῦμεν** καὶ δοξάζομεν.

نؤمن ونعترف ونمجد.

2- οὐ φίλημά σοι δώσω, καθάπερ ὁ Ἰούδας. ἀλλ᾽ ὡς ὁ λῃστὴς **ὁμολογῶ** σοι.

- ولن أُعطيكَ قُبلةً مثل يهوذا، لكن كاللص أعترف لك. (خميس العهد)

3- σὲ **αἰνοῦμεν**, σὲ **εὐλογοῦμεν**, σοὶ **εὐχαριστοῦμεν** Κύριε.

- نسبحك، نباركك، نشكرك يارب.

4- ἄγγελοι μετὰ ποιμένων **δοξολογοῦσι.**

– الملائكة مع الرعاة **يُمجِّدون**.

5- μάγοι δὲ μετὰ ἀστέρος **ὁδοιποροῦσι.**

– والمجوس مع النجم **يسيرون.**

6- τὴν ἀνάστασίν σου Χριστέ, σωτήρ, ἄγγελοι **ὑμνοῦσιν** ἐν τοῖς οὐρανοῖς.

– إنَّ الملائكةَ في السماواتِ **يُسبحون** قيامتك أيها المسيح المُخلص.

§٨-٣: حروف الجر التي يليها حالة القابل

حروف الجر في الجدول التالي يليها حالة القابل إليه في نصوص الليتورجية.

جدول (١٤): **حروف الجر التي يليها حالة القابل في نصوص الليتورجية**

ἐν	بـ، بواسطة، في، بين، وسط
σύν	مع، بـ
ἐπί	لأجل، لـ؛ بسبب، بواسطة، على

ودائمًا يأتي مع حرفَي الجر **(ἐν, σύν)** حالة القابل، أمَّا حرف الجر **(ἐπί)** فيمكن أنْ يليه حالات النصب والمضاف إليه والقابل خارج نصوص الليتورجية.
أمثلة:

- **ἐν** τοῖς οὐρανοῖς. في السموات.
- **ἐν** τοῖς ὑψίστοις. في الأعالي
- **ἐν** τῷ Κρανίῳ τόπῳ. في موضع الإقرانيون.
- **ἐν** μνημείῳ. **في** قبرٍ.
- ἀνελθεῖν **ἐν** τῷ σταυρῷ. صعد على الصليب.
- **σὺν** θεῷ. (مع الله (بسم الله [القوي])
- κατεθάρσησεν ὁ λαὸς **ἐπὶ** τοῖς λόγοις Ἐζεκίου. (2 Chronicles 32:8)
- فتشجَّع الشعب بواسطة كلام حزقيال. (٢أخ٣٢: ٨).

كنيسةُ رئيسِ الملائكةِ غبريال بحارةِ السقايين

تَقَعُ كنيسةُ رئيسِ الملائكةِ الجليلِ غبريال بحارة السقايين على بُعدِ أمتارٍ قليلةٍ من قَصرِ عابدين بوَسَطِ القاهرة الخديوية، وقد تمَّ البناءُ فيها في زمنِ حُكمِ محمد سعيد باشا الذي أصدرَ قرارَ رقمَ ٢١ في ٢٦ نوفمبر ١٨٥٤م ببناءِ الكنيسةِ في عهدِ البابا كيرلس الرابع أبي الإصلاح والذى قامَ بإقامةِ أولِ قُدّاسٍ بها. وكانت حارةُ السقايين التي تَقَعُ فيها الكنيسةُ حارةً كبيرةً عكسَ الوضعِ الحالي واقعةً ما بين منطقةٍ نيليةٍ وأخرى زراعية، ويسكنها عددٌ كبيرٌ من السُّقاةِ حاملي القِرَبِ لتوزيعِ المياه. كما أنَّ شرقي الحارة شارعَ بورسعيد الذي كان يُسمَّى شارعَ الخليج المصري، ويمتدُّ من منطقة فم الخليج إلى مدينة السويس كبديلٍ لفكرةِ قناةِ السويس، وفي الغربِ منطقةٌ تُسمَّى الجزيرة وهي منطقة زراعية تُحيطُ بها الترع والقنوات.

افتتح البابا كيرلس الرابع المبنى المؤقَّت لها في ٢١ فبراير ١٨٥٥م، ثم تمَّ بناؤها بشكلها الحالي عام ١٨٨١م في عهدِ البابا كيرلس الخامس. والكنيسة عبارة عن تُحفَةٍ فنيةٍ رائعةِ الجمالِ بسقفِها المنقوشِ بالرسوماتِ الدقيقة والقُبَّة البيضاوية التي تحملُ صورةَ رئيسِ الملائكة يُبشِّرُ السيدة العذراء. كما توجَد بها مجموعةٌ من الأعمدةِ الرخامية المصقولة، ومبنى الكنيسة عبارة عن منارتَين ترتفعان وسَطَ منازلِ منطقة حارةِ السقايين المُتلاصقة، وبجوارهما مَدخَلان من دَربِ الموهي بحري وقبلي الكنيسة يؤدّيان إلى فِنائَين مكشوفَين، ومنها ينتقلُ الزائرُ لمبنى الكنيسة من خلال مسقوفةٍ نصفِ مُغلقة عبارة عن خمسةِ عقودٍ على أعمدةٍ من رخام أبيض ومَمَرٍّ غربي ينتهي ببابٍ به مجموعةُ مَمَرّاتٍ تؤدي إلى صِحنِ الكنيسة، ويفصلُ الصحنَ عن الهيكلِ حامِلُ أيقوناتٍ من الخشبِ المُعَشَّق والمُطَعَّم بالعاج، وزخارفه عبارة عن صلبان مُتداخِلَة في تكوينٍ مُنسجم، وينقسم حاملُ الأيقونات إلى ثلاثةِ أجزاءٍ أمامَ كل هيكلٍ جزءٌ منها، ويبدو أنَّ حامِلَ الأيقونات مَنقولٌ من كنائس قديمة، ولم يتم تصنيعُه خصيصًا لهذه الكنيسة لأنه صُنِعَ قَبلَ إنشاءِ الكنيسة.

وقد تمَّ تجديدُ الكنيسةِ في العصرِ الحديث بعدَ الزلزالِ الشهير عام ١٩٩٢ والذى ضَرَبَ أرضَ مصرَ حيثُ دمَّرَ الزلزالُ أجزاءً ليست بقليلةٍ من الكنيسة، وقد تمَّ ترميمُ الكنيسة على يدِ متخصصين في ترميمِ الكنائس الأثرية، وتمَّ عملُ عزلٍ للحوائط ضدَّ الرطوبةِ مع مُعالَجةِ الأرضياتِ والأَسقُفِ والأعمدة، وتحتوي الكنيسةُ على مجموعةٍ رائعةٍ من الأيقونات والتي تُمثِّلُ مرحلةً فنيةً عاليةَ الرُّقيّ مِن فَنِّ الأيقونات، وخاصةً أيقوناتِ القرن١٩ وال٢٠، وقد تمَّ ترميمُها بواسطةِ خُبراء في أعمال الترميم وتنظيف الأيقونات.

كنيسةُ رئيسِ الملائكةِ غبريال بحارةِ السقايين